الغدير والمعارضون
أو
عواصف على ضفاف الغدير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

«مزيدة ومنقحة»

المركز الإسلامي للدراسات

_____

_____

_____

الـغديــر والمــعـارضـون
أو
عواصف على ضفاف الغدير

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية:

بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين..

وبعد..

فإن بحث «**الغدير والمعارضون**» قد عالج بعض ما يرتبط بقضية الغدير، بطريقة موجزة، ولكنه ولا شك قد سلط الضوء على أمر قلما تعرض له الباحثون والدارسون لقضايا التاريخ والإمامة.

هذا الأمر الذي كان من الضروري إيضاح ولفت الأنظار إليه، ليحتل موقعه المناسب في التصور العام لحقيقة ما جرى بالنسبة لأخطر قضية في تاريخ الإسلام وأشدها حساسية.

وقد ظهر من خلال هذا البحث: أن إيضاح الواقع التاريخي، ومعرفة كل الظروف والأحداث التي أحاطت بهذا الأمر من شأنها أن تحل الكثير من العقد، وتزيل الشبهات التي حاول المغرضون أن

يثيروها حول طبيعة هذا الأمر، وغاياته، وظروفه التي نشأ فيها.

على أننا لا نظلم أحداً إذا قلنا: إنه ليس من حق أي كان أن يشك في هذه القضية، أعني قضية النص على أمير المؤمنين «عليه السلام» بالإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنها من الأمور الثابتة، التي لا يجوز لأي عاقل أو منصف أن يرتاب فيها. وذلك لصراحة النصوص القرآنية، والتواتر القاطع لكل عذر، مع صراحة الدلالة للنصوص النبوية المثبتة لإمامة علي «عليه السلام».

فمحاولة إثارة الشبهات في الدلالة القرآنية، بادعاء أنها ظاهرة، وليست نصاً، أو التشكيك في سند أو دلالة النصوص النبوية لا ينبغي الوقوف عندها، والإلتفات إليها. وعلى الإنسان أن ينصف نفسه ويحترم ضميره ووجدانه، وإنسانيته. ففي ذلك رضا الله سبحانه، وهو ولينا وهو الهادي إلى سواء السبيل.

جعفر مرتضى العاملي

١٤١٧/٢/٩ هـ ق.

تقديم:

بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم قيام الدين.

وبعد..

فإن القضية التي عرفت في تاريخ الإسلام بـ «**قضية الغدير**» تعتبر من أهم القضايا الإسلامية، وأشدها خطورة وحساسية. وذلك لأنها تمثل المحور والأساس الذي يتم على أساسه تحديد الاتجاه العام للإنسان المسلم، ويرتسم خط مسيره إلى مصيره، إن من الناحية العقائدية، أو الفكرية، أو في نطاق التشريع، أو في مجال الارتباط الشعوري والعاطفي.

وعلى أساس ذلك كله يكون رسم العلاقات في كل ما ومن يحيط به وتتحدّد المنطلقات، وتتكون الارتباطات، وتتشكل العوامل والمؤثرات.

ولأجل ذلك، فإن البحث في هذه القضية، وإيضاح ما لها من

أبعاد، ودلالات، والتعرف على ما اكتنفها من ظروف وملابسات، يصبح بالغ الأهمية لكل مسلم يؤمن بربه، يرجو ثوابه، ويخاف سخطه وعقابه، في يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وقد جاء هذا البحث المقتضب، الذي بين يدي القارىء الكريم ـ والذي نشر في سنة ١٤١٠ هـ. ق، في مجلة «**تراثنا**» التي تصدر في قم المشرفة ـ ليوضح جانباً مما يُعتقد أنه لم ينل قسطاً كافياً من العناية من قبل الباحثين والمحققين، أو هكذا خيِّل لكاتبه على الأقل.

وغني عن القول هنا: أن نظرة عابرة يلقيها القارئ على هذا البحث سوف تجعله مقتنعاً: بأنه قد كان بالإمكان إثراؤه بالنصوص والمصادر بصورة أوسع وأتم، وأوفى مما هو عليه الآن.

إذ إن ما ورد فيه من نصوص ومصادر ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر، وكله يؤيد بعضه بعضاً، ويشد بعضه أزر البعض الآخر.

ولكن كثرة الصوارف، واعتمادنا على نباهة القارئ الكريم، وإيثارنا أن نكتفي بتقديم النموذج والمثال قد شجعنا على الإقتصار على هذا القدر من النصوص والمصادر..

فإلى القارئ الكريم عذري، وله خالص حبي وشكري.

ومن الله نستمد العون والقوة. وهو ولينا، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد والسداد.

جعفر مرتضى العاملي

الفصل الأول:

الغدير والإمامة

ليتضح ما نرمي إليه:

إن من المناسب قبل أن ندخل في الموضوع الذي هو محط النظر ـ أن نشير إلى تفسير تاريخي مقتضب لمصطلح شائع ومعروف هو مصطلح:

«حديث الغدير»:

فنقول: إن كلمة «**حديث الغدير**» تتضمن إشارة إلى حادثة تاريخية وقعت في السنة الأخيرة من حياة الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله». وبالذات في الأشهر الأخيرة منها. حيث إنه «صلى الله عليه وآله» قد حج حجته المعروفة بـ «**حجة الوداع**» ـ وهي الحجة الوحيدة له «صلى الله عليه وآله» ـ فلما قضى مناسكه، انصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه جموع غفيرة تعد بعشرات الألوف من المسلمين، فلما بلغ موضعاً يقال له: «**غدير خم**»: في منطقة الجحفة، التي هي بمثابة مفترق، تتشعب منه طرق المصريين، والمدنيين، والعراقيين، وبلاد الشام.

نزل جبرائيل عليه في ذلك الموضع، في يوم الخميس، في الثامن

عشر من ذي الحجة بقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)**[١]، حيث أمره الله سبحانه أن يقيم علياً «عليه السلام» إماماً للأمة، ويبلغهم أمر الله سبحانه فيه.

فأمر الرسول «صلى الله عليه وآله» برد من تقدم من الناس، وحبس من تأخر منهم. ثم صلى بهم الظهر، وبعدها قام بهم خطيباً على أقتاب الإبل، وذلك في حر الهاجرة. وأعلن، وهو آخذ بضبع علي «عليه السلام»: أن علياً أمير المؤمنين، ووليهم، كولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم. حيث قال:

«من كنت مولاه فعلي مولاه «قاله ثلاث أو أربع مرات» اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله..».

فنزلت الآية الكريمة: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)**[٢].

ثم طفق القوم من الصحابة يهنئون أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفي مقدمتهم الشيخان: أبو بكر، وعمر، وغيرهما من المعروفين من صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٣].

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) راجع: الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٩ ـ ١٢ وغيرها من الصفحات.

هذه صورة موجزة عن هذه القضية ذكرناها توطئة، وتمهيداً للبحث الذي هو محط نظرنا، فإلى ما يلي من مطالب وصفحات.

توطئة وتمهيد:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**[١].

نزلت هذه الآية الشريفة في حجة الوداع، لتؤكد على لزوم تبليغ النبي «صلى الله عليه وآله» ما أمر به من أمر الإمامة. وولاية علي «عليه الصلاة والسلام» على الناس. كما ذكرته المصادر الكثيرة والروايات الموثوقة.. ولسنا هنا بصدد الحديث عن ذلك.

وقد يرى البعض: أن هذه الآية قد تضمنت تهديداً للرسول نفسه، بالعذاب والعقاب إن لم يبلّغ ما أنزل إليه من ربه، وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر ذلك في خطبته للناس يوم الغدير، وستأتي بعض تلك الروايات إن شاء الله تعالى.

ولكننا نقول:

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

إن التهديد الحقيقي موجه لفئات من الناس كان يخشاها الرسول، كما صرح هو نفسه «صلى الله عليه وآله» بذلك ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ممتنعاً عن الإبلاغ، ولكنه كان ممنوعاً منه، فالتهديد له ـ إن كان ـ فإنما هو من باب: «إياك أعني، واسمعي يا جارة».

وهذا بالذات، ما نريد توضيحه في هذا البحث، بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال، والوقت **فنقول:**

الغدير والإمامة:

إن من يراجع كتب الحديث والتاريخ، يجدها طافحة بالنصوص والآثار االثابتة، والصحيحة، الدالة على إمامة علي أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام»، ولسوف لا يبقى لديه أدنى شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأل جهداً، ولم يدخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر، وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعلُّلات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان، وفي مختلف الظروف والأحوال، على مر العصور والدهور.

وقد استخدم في سبيل تحقيق هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيرية، وشتى المضامين البيانية: فعلاً وقولاً، تصريحاً، وتلويحاً، إثباتاً ونفياً، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك مما يكاد لا يمكن حصره، في تنوعه، وفي مناسباته.

وقد توجت جميع تلك الجهود المضنية، والمتواصلة باحتفال

جماهيري عام نصب فيه النبي «صلى الله عليه وآله» رسمياً علياً «عليه السلام» في آخر حجة حجها «صلى الله عليه وآله». وأخذ البيعة له فعلاً من عشرات الألوف من المسلمين، الذين يرون نبيهم للمرة الأخيرة.

وقد كان ذلك في منطقة يقال لها «**غدير خم**» واشتهرت هذه الحادثة باسم هذا المكان. وهي أشهر من أن تذكر. وقد ذكرنا موجزاً عنها في أول هذا البحث.

ولسنا هنا بصدد البحث عن وقائع ما جرى، واستعراض جزئياته، ولا نريد توثيقه بالمصادر والأسانيد، ولا البحث في دلالاته ومراميه المختلفة. فقد كفانا مؤونة ذلك العلماء الأبرار، جزاهم الله خير جزاء وأوفاه[١].

وإنما هدفنا هو الإلماح إلى حدث سبقه بفترة وجيزة، وهو ما حصل ـ تحديداً ـ في نفس حجة الوداع التي هي حجته الوحيدة، والتي نصب فيها النبي «صلى الله عليه وآله» علياً إماماً للأمة، وهو في طريق عودته منها إلى المدينة.

وذلك لأن التعرف على هذا الحدث الذي سبق قضية الغدير لسوف يمكننا من أن نستوضح جانباً من المغزى العميق الذي يكمن

---

(١) راجع: كتاب الغدير للعلامة الأميني، وكتاب دلائل الصدق، والمراجعات وغير ذلك.

في قوله تعالى: **(وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)**[١]. ولكننا قبل ذلك، لا بد لنا من إثارة بعض النقاط المفيدة في هذا المجال فنقول:

الحدث الخالد:

إن من طبيعة الزمن في حركته نحو المستقبل، وابتعاده عن قضايا الماضي، هو أن يؤثر في التقليل من أهمية الأحداث الكبيرة، التي يمر بها، وتمر به، ويساهم في أفولها شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على حد الشبح البعيد البعيد، ثم قد ينتهي بها الأمر إلى أن تختفي عن مسرح الذكر والذاكرة، حتى كأن شيئاً لم يكن.

ولا تحتاج كبريات الحوادث في قطعها لشوط كبير في هذا الاتجاه إلى أكثر من بضعة عقود من الزمن، مشحونة بالتغيرات والمفاجآت.

وحتى لو احتفظت بعض معالمها ـ لسبب أو لآخر ـ بشيء من الوضوح، ونالت قسطاً من الاهتمام، فلا يرجع ذلك إلى أن لها دوراً يذكر في حياة الإنسان وفي حركته، وإنما قد يرجع لأنها أصبحت تاريخاً مجيداً، يبعث الزهو والخيلاء لدى بعض الناس، الذين يرون في ذلك شيئاً يشبه القيمة، أو يعطيهم بعضاً من الاعتبار والمجد بنظرهم، وربما يكون ثمة أسباب أخرى أيضاً.

ولكن قضية الغدير، رغم مرور الدهور والأحقاب، وبعد ألف

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وأربع مائة سنة زاخرة بالتقلبات العجيبة، وبالقضايا الغريبة، ومشحونة بالحروب والكوارث، وبالعجيب من القضايا والحوادث.

ورغم المحاولات الجادة، والمتتابعة للتعتيم عليها، وإرهاقها بالتعليلات والتعللات غير المعقولة، باردة كانت أو ساخنة، بهدف حرفها عن خطها القويم، وعن الإتجاه الصحيح والسليم.

وكذلك رغم ما عاناه ويعانيه المهتمون بها من اضطهاد وغربة، وتشريد ومحنة، وما يصب على رؤوسهم من بلايا ومصائب، وكوارث ونوائب.

نعم، رغم ذلك كله وسواه، فإن هذه الحادثة بما تمثله من قضية كبرى للإيمان وللإنسان، قد بقيت ولسوف تبقى القضية الأكثر حساسية وأهمية، لأنها الأكثر صلة بالإيمان وبالإنسان، والأعمق تأثيراً في حياة هذا الكائن، وفي بنية شخصيته من الداخل، وعلى علاقاته بكل من وما يحيط به، أو يمت إليه بأدنى صلة أو رابطة من الخارج.

وهي كذلك القضية الأكثر مساساً وارتباطاً بمستقبل هذا الإنسان، وبمصيره، إنْ في الدنيا، وإنْ في الآخرة.

وهذا بالذات هو السر في احتفاظ هذه القضية بكل حيويتها، وحساسيتها بالنسبة إليه، على مر الدهور، وتعاقب العصور، ولسوف تبقى كذلك كما سيتضح فيما يأتي.

مفتاح الحل:

وإذا كان الأمر كذلك، فلا يبقى مجال للإصغاء لما قد يثيره البعض، من أنه: سواء أكان الحق في ذلك لعلي «عليه السلام»، وقد اغتُصِبَ منه، وأقصي عن منصب هو له، أم لم يكن الأمر كذلك، فإن هذه القضية قد تجاوزتها الأحداث، وأصبحت تاريخاً يحكيه البعض، وينساه آخرون، كأي حدث تاريخي آخر.

فلم يعد الوقوف عندها والإهتمام بها مجدياً، ولا مفيداً، إن لم نقل: إن فيه ما يوجب الفرقة، ويرسخ التباعد، بما يثيره من كوامن وضغائن.

نعم.. لا مجال لهذا القول؛ فإن قضية الغدير، لا تزال ولسوف تبقى هي القضية الأساسية والرئيسة بالنسبة للمسلمين بل للناس جميعاً، وهي المفتاح للباب الذي لا بد من الدخول منه لحل المشاكل المستعصية الكبرى، وبعث الإسلام العزيز من جديد، وبناء قوته، وبث الحياة والحيوية في أبنائه.

وبدون ذلك، فإن على الجميع أن يستعدوا لمواجهة المزيد من المصائب، وأن يقبلوا ـ شاؤوا أم أبوا ـ باستمرار حالة الضعف والتقهقر، بل وانهيار بناء الإسلام الشامخ.

خلافة أم إمامة؟!:

وما ذلك إلا لأن القضية لا تقتصر على أن تكون مجرد قضية

خلافة وحكم وسلطة في الحياة الدنيا، ولا هي قضية: أن يحكم هذا، أو يحكم ذاك، لسنوات معدودة، وينتهي الأمر.. وإن كان ربما يقال: إن الذين تصدوا للحكم، واستأثروا به لأنفسهم قد قصدوا ذلك.

ولكننا نجد شواهد كثيرة قد لا تساعد على هذا الفهم الساذج للأمور.

وإنما هو يتجاوزه لما هو أهم وأخطر، وأدهى وأعظم، فقد عمل الحكام الأمويون على تكريس مفهوم الإمامة والخلافة الإلهية في كل شخصية تصدت للحكم. وذلك في نطاق تقديم العديد من الضوابط والمعايير، المستندة إلى مبررات ذات طابع عقائدي في ظاهره، يتم على أساسها اضطهاد الفكر والإعتقاد المخالف، والتخلص من رجالاته بطريقة أو بأخرى.

وقد سرت تلك المفاهيم المخترعة في الناس، وأصبحت أمراً واقعاً، لا مفر منه ولا مهرب، ولا ملجأ منه ولا منجى. وتفرقت الفرق، وتحزبت الأحزاب، رغم أن غير الشيعة من أرباب الفرق والمذاهب الإسلامية يدَّعون شيئاً، ويمارسون شيئاً آخر، فهم يعتقدون بالخلفاء أكثر مما يعتقده الشيعة في أئمتهم، ويمارسون ذلك عملاً، ولكنهم ينكرون ذلك، ولا يعترفون به قولاً، بل هم ينكرون على الشيعة اعتقادهم في أئمتهم ما هو أخف من ذلك وأيسر.

دور الإمامة في بناء الإنسان والحياة:

وليس من الغريب القول: بأن معرفة قضية الإمامة وتحديد

الموقف منها هو الذي يحدد مسار الإنسان واتجاهه في هذه الحياة. وعلى أساس هذا التحديد، والمعرفة والإعتراف يتحدد مصيره، ويرسم مستقبله، وبذلك تقوم حياته، فيكون سعيداً أو شقياً، في خط الإسلام وهداه، أو في متاهات الجاهلية وظلماتها، كما أشير إليه في الحديث الشريف: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» أو ما بمعناه(١).

فعلى أساس الإعتقاد بالإمامة وطريقة التعامل معها يجسد الإنسان على صعيد الواقع، والعمل، مفهوم الأسوة والقدوة، الذي هو حالة طبيعية، يقوم عليها ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ بناء وجوده وتكوين شخصيته، منذ طفولته.

كما أن لذلك تأثيره الكبير في تكوينه النفسي، والروحي، والتربوي، وفي حصوله على خصائصه الإنسانية، وفي حفاظه على ما لديه منها.

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٣٩٠ عن التفتازاني في شرح المقاصد ج٢ ص٢٧٥ وكنز الكراجكيي ص١٥١ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢١٧ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢١٩ و ٢١٨ ومسند أحمد ج٤ ص٩٦ والبحار ج٢٣ ص٩٢ و ٨٨ و ٨٩ وفي هوامشه عن الإختصاص ص٢٦٩ وعن إكمال الدين ص٢٣٠ و ٢٣١ وعن عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ص٢١٩ ومنتخب الأثر ص١٥ عن الجمع بين الصحيحين والحاكم.

وعلى أساس هذا الإعتقاد، وذلك الموقف ـ أيضاً ـ يختار أهدافه، ويختار السبل التي يرى أنها توصله إليها.

والإمامة هي التي تبين له الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والضار من النافع.

وعلى أساس الإلتزام بخطها يرتبط بهذا الإنسان أو بذاك، ويتعاون معه، ويتكامل، أو لا يفعل ذلك.

كما أنها هي التي تقدم للإنسان المعايير والنظم، والمنطلقات التي لا بد أن يلتزم بها، وينطلق منها، ويتعامل ويتخذ المواقف ـ إحجاماً أو إقداماً ـ على أساسها.

أضف إلى ذلك: أنها تتدخل في حياته الخاصة، وفي ثقافته، وفي أسلوبه وفي كيفية تفكيره.

ومن الإمام يأخذ معالم الدين، وتفسير القرآن، وخصائص العقائد، ودقائق المعارف. وهذا بالذات هو السر في اختلاف الناس في ذلك كله، واختلفوا في تحديد من يأخذون عنه دينهم، وفي من يتخذونه أسوة وقدوة.

إذن.. فموضوع الغدير، ونصب الإمام للناس، وتعريفهم به، لا يمكن أن يكون على حد تنصيب خليفة، أو حاكم، أو ما إلى ذلك، بل الأمر أكبر وأخطر من ذلك.. كما أنه ليس حدثاً عابراً فرضته بعض الظروف، لا يلبث أن ينتهي ويتلاشى تبعاً لتلاشي وانتهاء الظروف التي فرضته أو أوجدته، وليصبح في جملة ما يحتضنه التاريخ من

أحداث كبيرة، وصغيرة، لا يختلف عنها في شيء، ولا أثر له في الحياة الحاضرة إلا بمقدار ما يبعثه من زهو، واعتزاز، أو يتركه من مرارة وألم على مستوى المشاعر والانفعالات لا أكثر.

بل أمر الإمامة، يمس في الصميم حقيقة هذا الإنسان، ومصيره ومستقبله، ودنياه وآخرته، ويؤثر في مختلف جهات وجوده وحياته.

ومعنى ذلك هو: أنه لا بد من حسم الموقف في هذا الأمر، ليكون الإنسان على بصيرة من أمره، فلا يموت ميتة جاهلية. كما تقدم عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

واشتراط الحديث الشريف تحصيل معرفة الإمام في النجاة من الهلكة، وذلك في صيغة عامة تشمل كل إنسان، حتى ولو لم يكن يعتنق الإسلام، حيث قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه..»، ولم يقل: إذا مات المسلم ولم يعرف.. الخ..

إن هذا الاشتراط يوضح لنا: أن تجاهل قضية الإمامة، وعدم حسم الأمر في موضوع الأسوة والقدوة يساوي رفضها، وإبعادها عن محيط الحياة والإنسان في كونه يوجب الميتة الجاهلية، ويترك آثاره السلبية المهلكة والمبيدة، على مجمل حياة هذا الكائن وعلى مستقبله ومصيره، في الدنيا والآخرة.

ومما يدل على ذلك، ويثبته ويؤكده: أنه تعالى قد اعتبر عدم إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس، يساوي عدم إبلاغ الرسالة نفسها من الأساس، وذلك يعني: أنه لا يمكن التسامح فيها ولا المحاباة، كما أنه

لا مجال لإبعادها وتعطيلها، لأن ذلك يعني إبعاد الدين وتعطيله، ومنعه من أن يكون هو سيد الموقف، وصاحب القرار في حياة الإنسان، وفي مجمل مواقفه وفي مستقبله.

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ:

وبعد أن عرفنا: أن القضية ليست قضية شخص، وإنما هي قضية الرسالة، أن تكون، أو لا تكون، حتى لقد قال تعالى، مخاطباً نبيه «صلى الله عليه وآله»، في مجال الحث على حسم أمر الإمامة **(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)**[1] بعد أن عرفنا ذلك. فإن المنع من إبلاغ الرسالة والإمامة معناه حرمان الإنسان من الهداية الإلهية، ومن الرعاية الربانية، وليس هناك جريمة أعظم ولا أخطر من ذلك.

ومن هنا، كان لا بد من إلقاء نظرة على ما كانت عليه الحال في زمن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، فيما يرتبط بهذه النقطة بالذات، لنتعرف على أولئك الناس الذين حاولوا منع الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» من إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس، وزعزعة أركان هذا الأمر الخطير، والعبث بمستقبل الإنسان، وبكل حياته، ووجوده.. وتلك هي الجريمة الأكبر والأضر، والأخطر والأشر.. فإلى الفصل التالي لنتعرف فيه على بعض ما جرى في هذا الإتجاه..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الفصل الثاني:

الموتورون، الحاقدون

المعارضون:

إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، فسنجد أنه قد أفصح لنا عن وجود فئات من الناس، كانت تقف في وجه الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة، وتمنعه من بيان أمر الإمامة وإقامة الحجة فيها، حتى احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى طلب العصمة من الله سبحانه، ليتمكن من مواجهة هؤلاء، وكبح جماحهم.

فمن هم هؤلاء الأشرار الأفَّاكون، والعتاة المجرمون؟!. الذين يجترؤون على مقام النبوة الأقدس، ويقفون في وجه إبلاغ أوامر الله، وأحكامه.

الجواب:

إن كتب التاريخ والحديث، والسيرة زاخرة بالشواهد والدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تكشف لنا القناع عن وجه هؤلاء، وتظهر مدى تصميمهم على رفض هذا الأمر، ومحاربته، وطمسه ومنابذته، بكل ما أوتوا من حول وقوة..

ونحن في مقام التعريف بهم، والدلالة عليهم نبادر إلى القول: إنهم

ـ للأسف ـ قوم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقريش، بالذات.. قريش، التي حاربت الإسلام في بدء ظهوره، وحاربته وهو غض طري العود، ثم حاربته بعد أن ضرب بجرانه، وعملت على زعزعة أركانه، حينما أرادت حرمانه من العنصر الضروري والأهم للحياة وللاستمرار، والبقاء.. وأعني به عنصر الإمامة والقيادة. والنصوص التالية خير شاهد على سياسات قريش هذه. فلنقرأها بتمعن، وصبر، وأناة.

النصوص الصريحة:

قال عثمان بن عفان لابن عباس: «لقد علمت: أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه».

ثم تذكر الرواية له كلاماً آخر، وجواب ابن عباس له، فكان مما قال:

«فأما صرف قومنا عنا الأمر، فعن حسد ـ قد والله ـ عرفته، وبغي ـ والله ـ علمته بيننا وبين قومنا»[1].

وحين ظهرت نتائج الشورى التي عينها عمر بن الخطاب، قال رجل من بني مخزوم لعمار: «ما أنت وتأمير قريش لأنفسها»؟!

ثم تستمر الرواية إلى أن تذكر:

---

(١) قاموس الرجال ج٦ ص٣٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٩ والموفقيات ص٦٠٦.

أن المقداد قال: «تالله، ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت. وا عجباً لقريش، لقد تركت رجلاً، ما أقول، ولا أعلم أحداً أقضى بالعدل.. الخ..»[١].

وخطب أبو الهيثم بن التيهان بين يدي أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فقال:

«إن حسد قريش إياك على وجهين:

أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ، وارتفاع الدرجة.

وأما شرارهم فحسدوك حسداً أنغَل القلوب، وأحبط الأعمال.

وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدَّمك إليها الحظ، وأخَّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوك حتى طلبوا أن يسبقوك. فبعدت ـ والله ـ عليهم الغاية، وأسقط المضمار.

فلما تقدمتهم بالسبق، وعجزوا عن اللحاق بك بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق فريش بشكر قريش»[٢].

وعمرو بن عثمان بن عفان أيضاً قال:

---

(١) قاموس الرجال ج٦ ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٦٦ و ج٩ ص٥٧ ـ ٥٨ وفي كلمات المقداد رحمه الله عبارات أخرى صريحة في ذلك فلتراجع.

(٢) الأوائل ج١ ص٣١٦ ـ ٣١٧.

«ما سمعت كاليوم إن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض أحد بعد قتل الخليفة عثمان..

إلى أن قال: فيا ذلاه، أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب ـ قتلة عثمان ـ أحياء يمشون على مناكب الأرض..»[١].

إنهم يقولون هذا مع أنهم يعلمون: أن الحسن «عليه السلام» كان يدافع عن عثمان وهو محاصر في داره.

وعن علي بن الحسين «عليه السلام»، أنه قال:

«ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»[٢].

ودخل العباس على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا رسول الله. إنا لنخرج فنرى قريشاً تُحَدِّث؛ فإذا رأونا سكتوا».

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودرّ عرق بين عينيه[٣].

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٤٠٣ والبحار ج٤٤ ص٧١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ والبحار ج٤٦ ص١٤٣ وعن الطبعة الحجرية ج٨ ص٦٧٦ و ٧٣٠ وراجع: الغارات ج٢ ص٥٧٣.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص١٦٤ وج١ ص٢٠٧ ص٢٠٨ وراجع ص٢١٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٨٧ و ٤٨٨ ونزل الأبرار ص٣٤ ـ ٣٥ وراجع: تاريخ المدينة ج٢ ص٢٣٩ و ٦٤٠ , ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة ومنحة المعبود ج٢ ص١٤٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٩ والجامع الصحيح للترمذي

وسئل الإمام السجاد «عليه السلام» ـ وابن عباس أيضاً: ما أشد بغض قريش لأبيك؟!.

قال: «لأنه أورد أولهم النار، وألزم آخرهم العار»[١].

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي «عليه السلام»:

«ما ذنبي إذا لم يحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً، كأن وجوههم سيوف الذهب»[٢].

وقريب منه ما روي من أن ابن عمر، قد قاله لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً[٣].

وروي: أن العباس قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«إن قريشاً، جلسوا، فتذاكروا أحسابهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة

ج٥ ص٦٥٢ وصححه وأسد الغابة ج٣ ص١١٠ وكنز العمال ج١٣ ص٩٠ و ٨٨ ـ ٨٩ و ٨٣ ,وج ١٦ ص٢٥٤ و ١٣٥ و ١٢٨ عن عدد من المصادر ونقله بعض الأعلام عن الكامل لابن عدي ج٦ ص١٨٨٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص١٠٨ وعن المعرفة والتاريخ ج١ ص٤٩٧ و ٤٩٩. والبحار (الطبعة الحجرية) ج٨ ص١٥١.

(١) نثر الدر للآبي ج١ ص٣٠٤ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢٢٠ والبحار (الطبعة الحجرية) ج٨ ص١٥١.

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ مخطوط في مكتبة طوب قبوسراي رقم ١ ص٤٩٧ /أ والجمل ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٣.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٢٢٠.

في كبوة من الأرض، فقال «صلى الله عليه وآله» الخ..

وحسب نص آخر: أن ناساً من الأنصار جاؤوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقالوا: إنا لنسمع من قومك، حتى يقول القائل منهم: «إنما مثل محمد مثل نخلة»[١].

أي أن النبي فقط هو الإنسان المقبول في بني هاشم، وهو كنخلة. وهم بمثابة المزبلة التي نبتت تلك النخلة فيها.

ويقولون أيضاً: قد كان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان[٢].

وقال المقداد: وا عجباً لقريش، ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم[٣].

وقال الثقفي: كانت قريش كلها على خلافه مع بني أمية[٤].

وبعد بيعة عثمان تكلم عمار، فذكر: أن قريشاً هي التي صرفت

---

(١) راجع مسند أحمد ج٤ ص١٦٦ ولسان العرب ج١٥ ص٢١٣ والبحار ج٣٦ ص٢٨٨ و ٢٩٤ والنهاية في اللغة ج٤ ص١٤٦.وفي الكامل لابن عدي ج٢ ص٦٦٥: أن القائل هو أبو سفيان وفي البحار ج٣٦ ص٢٧٨ و ٢٩٤: أن القائل هو عمر بن الخطاب. والكبا: الكناسة والتراب الذي يكنس.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٥٢.

(٣) تاريخ االيعقوبي ج٢ ص١٦٣.

(٤) الغارات ج٢ ص٥٧٠ وراجع ٥٥٤.

هذا الأمر عن أهل البيت «عليهم السلام»..

ثم قال المقداد لعبد الرحمن بن عوف:

«يا عبد الرحمن، اعجب من قريش، إنما تطوُّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعده من أيديهم. أما وأيم الله يا عبد الرحمن، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي «عليه الصلاة والسلام» يوم بدر»[١].

«وبعد أن بايع الناس علياً «عليه السلام» قام أبو الهيثم، وعمار، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وجماعة معهم، فدخلوا على علي «عليه السلام»، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انظر في أمرك، وعاتب قومك هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، ودعونا في السر إلى رفضك»[٢].

كما أن البراء بن عازب قد ذكر: أنه حين توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» تخوف أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم [٣].

وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه

---

(١) مروج الذهب ج٢ ص٣٤٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ج٢ ص٣٩ ـ ٤٠.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ج٢ ص٥١.

السلام»:

«إن الأمة ستغدر بك بعدي»[١].

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن في صدور أقوام ضغائن، لا يبدونها له إلا بعده.

وفي بعض المصادر: أن ذلك كان منه «صلى الله عليه وآله» حين حضرته الوفاة[٢].

---

(١) نزل الأبرار ص٢٦١ وتاريخ بغداد ج١١ ص٢١٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٢ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة وعن كنز العمال ج٦ ص٧٣ والبحار طبعة حجرية ج٨ ص٦٢٩.

(٢) راجع المصادر التالية: تذكرة الخواص ص٤٥ ـ ٤٦ وكفاية الطالب ص٢٧٢ وفرائد السمطين ج١ ص١٥٢ والبحارج٢٨ ص٥٣ ـ ٥٤ وكتاب سليم بن قيس ص٢٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص١١٨ عن البزار والطبراني وأبي يعلى والمناقب للخوارزمي ص٢٦ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٣٩٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٣٦ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ـ من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ج٢ ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ونور الأبصار ص٧٩ وميزان الإعتدال ج٣ ص٣٥٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٧ وكنز العمال ج١٥ ص١٥٦ عن ابن النجار، وأبي الشيخ، والمستدرك، والبزار، وابن الجوزي، والخطيب، وأبي يعلى، وكفاية الأثر ص١٢٤ و ١٥٨.

الخليفة الثاني يتحدث أيضاً:

قال عمر لابن عباس، وهو يتحدث عن سبب صرف الأمر عن علي «عليه السلام»:

«والله، ما فعلنا الذي فعلنا معه عن عداوة، ولكن استصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب، وقريش؛ لما قد وترها»[١].

وقال لابن عباس أيضاً:

«كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة، فتجفخوا الناس جفخاً[٢]، فنظرت قريش لأنفسها، فاختارت، ووفقت، فأصابت»[٣].

وفي موقف آخر قال الخليفة له: «استصغر العرب سنه».

كما أنه قد صرح أيضاً: بأن قومه قد أبَوْه[٤].

---

(١) الغدير ج١ ص٣٨٩ عن محاضرات الراغب، والبحار (الطبعة الحجرية) ج٨ ص٢٠٩.

(٢) الجفخ: التكبر.

(٣) قاموس الرجال ج٦ ص٣٣ و ٤٠٣ وقال: رواه الطبري في أحوال عمر والمسترشد في إمامة علي «عليه السلام» ص١٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٥٣ ,وراجع ص٩ وعبرفيه بـ «قومكم» وفيه: «إنهم ينظرون إليه نظر الثور إلى جازره» وراجع ج٢ ص٥٨ والإيضاح ص١٩٩.

(٤) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٤٦ وراجع ج٢ ص٥٨ و ٨١ وفي هامشه عن الرياض النضرة ج٢ ص١٧٣ وراجع: بهج الصباغة ج٤ ص٣٦١ وقاموس الرجال ج٧ ص٢٠١ وج٦ ص٣٥ عن الموفقيات..

وفي مناسبة أخرى قال له: «لا، ورب هذه البنية، لا تجتمع عليه قريش أبداً»[١].

وقال أيضاً لابن عباس:

«إن علياً لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله..»[٢].

قريش في كلمات علي ×:

وإذا رجعنا إلى كلمات أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» نفسه، فإننا نجده يحمل قريشاً مسؤولية كل المصائب والرزايا والبلايا التي واجهها هو وكل المخلصين بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» ولا سيما فيما يرتبط بأمر الخلافة، وما نشأ عن ذلك من تمزق، في جسم الأمة، وتوزع في أهوائها. ثم ما كان من تقاتل وتناحر، وانحراف عن خط الإسلام وعن مفاهيمه وأحكامه؟ وإلى يوم يبعثون..

ونذكر من كلماته «عليه السلام» هنا، ما يلي:

---

(١) شرح النهج ج١٢ ص٢٠ و ٢١ عن كتاب بغداد لأحمد بن أبي طاهر وراجع ج١٢ ص٧٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٤ و ٨٠ و ٨٢, وكشف الغمة ج٢ ص٤٩ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٩٨ وج٧ ص١٨٨ وبهج الصباغة ج٦ ص٢٤٤ وج٤ ص٣٨١ ونقل عن البحار (طبع كمباني) ج٨ ص٢١٣ و ٢٦٦ و ٢٩٢ وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص٧٢ ـ ٨٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٥٨ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٦ عنه.

قال «عليه السلام»: «اللهم أخز قريشاً، فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري»[١].

وعنه «عليه السلام»: «فجزى قريشاً عني الجوازي، فإنهم ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمي»[٢].

وفي نهج البلاغة وغيره قال «عليه السلام»: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: ألا في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه».

وزاد في نص آخر: «فاصبر كمداً، أو فمت متأسفاً حنقاً، وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي ـ كما قطعوا سنتي ـ لفعلوا، ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً»[٣].

وفي خطبة له «عليه السلام»، يذكر فيها فتنة بني أمية، ثم ما يفعله المهدي «عليه السلام» بهم، يقول: «فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها، لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٣٠٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٣٠٦.

(٣) راجع نهج البلاغة ج٢ ص٢٢٧ والمسترشد في إمامة علي «عليه السلام» ص٨٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ و ج٦ ص٩٦ راجع: البحار (الطبعة الحجرية) ج٨ ص٧٣٠ و ٦٧٢ والغارات ج٢ ص٥٧٠.

ما أطلب اليوم بعضه، فلا يعطونيه»[١].

وعنه «عليه السلام»: «حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب»[٢].

وقال «عليه السلام»: «إني لأعلم ما في أنفسهم، إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها، فتقول: إن وُليَّ الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً. وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش»[٣].

وقال «عليه السلام»: «**إن العرب كرهت أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته.**

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلّماً إلى العز والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً[٤].

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٨٤.

(٢) الأغاني ج١٥ ص٤٥ ونهج البلاغة ج١ ص٦٦.

(٣) راجع: قاموس الرجال ج٦ ص٣٨٤ و ٣٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٦٦ ج٩ ص٥٧ و ٥٨.

(٤) البازل من الإبل: الذي فطر نابه.

ثم فتح الله عليها الفتوح؛ فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا.

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب..» (١).

وفي نص آخر عنه «عليه السلام» أنه قال: «فلما رق أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا»(٢).

وعنه «عليه السلام»: «يا بني عبد المطلب، إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي، كعداوتهم النبي في حياته، وإن يطع قومكم لا تؤمرَّوا أبداً»(٣).

وعنه صلوات الله وسلامه عليه: «ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض الله

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٢٠ ص٢٩٨ و ٢٩٩.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ص٣٢٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٥٤ ونقل ذلك أيضاً عن مروج الذهب ج٣ ص١٢.

رسوله، فكانت الطامة الكبرى»[١].

وقال له رجل يوم صفين: «لم دفعكم قومكم عن هذا الأمر، وكنتم أعلم الناس بالكتاب والسنة»؟!.

فقال «عليه السلام»: «فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»[٢].

كما أنه «عليه السلام» قد أجاب على رسالة من أخيه عقيل: «فإن قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم، وجهلوا حقي، وجحدوا فضلي، ونصبوا لي الحرب، وجدوا في إطفاء نور الله، اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها، فقد قطعت رحمي، وظاهرت علي..».

وفي بعض المصادر ذكر [العرب] بدل قريش[٣].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٥ ص١٠٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٥ ص١٠٨.

(٣) راجع الإمامة والسياسة ج١ ص٥٦ وراجع المصادر التالية: الغارات ج٢ ص٤٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١١٩ وراجع ج١٦ ص١٤٨ - ١٥٢ وأنساب الأشراف ج٢ ص٧٥ بتحقيق المحمودي والأغاني ج١٥ ص٤٦ ونهج البلاغة ج٣ ص٦٨ والدرجات الرفيعة ص١٥٦ وعن البحار (طبعة حجرية) ج٨ ص٦٢١ و ٦٧٣ وراجع أيضاً: نهج السعادة ج٥ ص٣٠٢ وراجع: جمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٩٥. والعبارات في المصادر متفاوتة، فليلاحظ ذلك.

وأما بالنسبة لمعاوية الخليفة الأموي، فقد أخبر «عليه السلام»: أنه لو استطاع لم يترك من بني هاشم نافخ ضرمة[١].

وبعد.. فإن الامام الحسن «عليه السلام» قد ذكر في خطبة له أن قريشاً هي المسؤولة عن موضوع إبعاد أهل البيت «عليهم السلام» عن الخلافة، فراجع[٢].

بعض ما قاله المعتزلي هنا:

هذا.. وقد أكد المعتزلي هذه الحقيقة في مواضع من شرحه لنهج البلاغة. ونحن نذكر هنا فقرات من كلامه، ونحيل من أراد المزيد على ذلك الكتاب، **فنقول:**

قال المعتزلي: «إن قريشاً اجتمعت على حربه منذ بويع، بغضاً له وحسداً، وحقداً عليه؛ فأصفقوا كلهم يداً واحدة على شقاقه وحربه، كما كانت في ابتداء الإسلام مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لم تخرم حاله من حاله أبداً»[٣].

وقال: «إنه رأى من بغض الناس له، وانحرافهم عنه، وميلهم عليه، وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم، واحتدام النيران التي

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٨١ والبحار ج٣٢ ص٥٩٢ وعيون الأخبار ـ لابن قتيبة ـ ج١ ص١٨١.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٢٤ و ٣٣.

(٣) شرح النهج ج١٦ ص١٥١.

كانت في قلوبهم، وتذكروا الترات التي وترهم فيما قبل بها، والدماء التي سفكها منهم، وأراقها.

إلى أن قال: وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لشدة اختصاصه له، وتعظيمه إياه، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه، وعلو مكانه، وما اختص به من مصاهرته وأخوّته، ونحو ذلك من أحواله.

وتنكّر قوم آخرين له، لنسبتهم إليه العجب والتيه ـ كما زعموا ـ واحتقاره العرب، واستصغاره الناس، كما عددوه عليه، وإن كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل، وأمر ذكر..»[1].

وقال: «فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها، حين بويع بالخلافة، بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخمس وعشرين سنة، وفي دون هذه المدة تُنسى الأحقاد، وتموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلوا القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس، ويوجد قرن، ولا يبقى من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلا الأقل».

«فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه «صلى الله عليه وآله» من إظهار ما في النفوس، وهيجان ما في القلوب، حتى إن الأخلاف من

---

(١) شرح النهج ج١١ ص١١٢ و ١١٣.

قريش، والأحداث والفتيان، الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله، وتقاعست من بلوغ شأوه»[١].

وقال: «اجتهدت قريش كلها، من مبدأ الأمر في إخمال ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى مُحي فضله ومرتبته من صدور الإسلام»[٢].

وقال: «إن قريشاً كلها كانت تبغضه أشد البغض..

إلى أن قال: «ولست ألوم العرب، ولا سيما قريشاً في بغضها له، وانحرافها عنه، فإنه وترها، وسفك دماءها، وكشف القناع في منابذته. ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم!»[٣].

هذا وقد أشار إلى بغض قريش ومنابذتها له في مواضع عديدة أخرى من كتابه، فليراجعها من أراد[٤].

واستقصاء النصوص الدالة على هذا الأمر غير متيسر، بل هو متعذر، بسبب كثرته وتنوعه، وتفرقه في المصادر التي تعد بالمئات.

وبعد ما تقدم: فإن الوقت قد حان للوقوف على حقيقة موقف

---

(١) شرح النهج ج١١ ص١١٤.

(٢) شرح النهج ج١٨ ص١٨.

(٣) شرح النهج ج١٤ ص٢٩٩.

(٤) راجع شرح النهج ج٩ ص٢٨ و ٢٩ و ٥٢ وج٤ ص٧٤ ـ ١٠٤.

قريش، ومن تابعها، مما جرى في قضية [**الغدير**]، والظرف الذي كان يواجهه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» مع هؤلاء، في هذه المناسبة بالذات، فإلى الفصل التالي.

الفصل الثالث:

الرسول الأكرم ﷺ يعرفهم

الرسول ٦ والمتآمرون:

ونحن إذا رجعنا إلى كلمات الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، المنقولة لنا بصور متعددة، وفي موارد مختلفة، فإننا نجد: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يؤكد على معرفته بنوايا المتآمرين من قومه قريش تجاه أهل بيته عموماً، وأمير المؤمنين علي «عليه السلام» بصورة خاصة، وقد تقدم عنه «صلى الله عليه وآله» بعض من ذلك، وما تركناه أكثر من أن يحاط به بسهولة، لكثرته، وتنوعه.

ويكفي أن نذكر هنا: أن تأخيره «صلى الله عليه وآله» إبلاغ ما أنزل إليه في شأن الإمامة والولاية، قد كان بسبب المعارضة الكبيرة التي يجدها لدى قريش، التي كانت لا تتورع عن اتهام شخص الرسول «صلى الله عليه وآله»، والطعن في نزاهته، وفي خلوص عمله ونيته.

وقد صرحت طائفة من النصوص المتقدمة: بأن قريشاً كانت رائدة هذا الإتجاه، وهي التي تتصدى وتتحدى، وإليك نموذجاً أخر من تصريحات الرسول «صلى الله عليه وآله» الدالة على معرفته بهؤلاء

المتآمرين، ووقوفه على حقيقة نواياهم في خصوص هذا الأمر. وبالنسبة لقضية الغدير بالذات.

أمثلة وشواهد:

١ ـ قال الطبرسي: «قد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر، وأبي عبد الله «عليهما السلام»: أن الله أوحى إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يستخلف علياً «عليه السلام»؛ فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه؛ فأنزل الله هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه..»(١).

والمراد بـ «هذه الآية» قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..)**(٢).

٢ ـ عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه لما أُمر بإبلاغ أمر الإمامة قال:

«إن قومي قريبو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم، وإني أخاف، فأنزل الله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ..)**»(٣).

٣ ـ عن ابن عباس إنّه «صلى الله عليه وآله» قال في غدير خم:

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) شواهد التنزيل ج١ ص١٩١.

«إن الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني، وتكذبوني، حتى عاتبني ربي بوعيد أنزله علي بعد وعيد..»[١].

٤ ـ عن الحسن أيضاً: «إن الله بعثني برسالة؛ فضقت بها ذرعاً، وعرفت: أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغنّ أوليعذبني، فأنزل الله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..)**[٢]»[٣].

٥ ـ عن ابن عباس، وجابر الأنصاري، قالا: أمر الله تعالى محمداً «صلى الله عليه وآله»: أن ينصب علياً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوف النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقولوا: حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك فأوحى الله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..)**»[٤].

٦ ـ عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بخم، فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب؛ فشقّ على النبي تأخر الناس؛ فأمر علياً فجمعهم؛ فلمّا اجتمعوا قام فيهم، متوسداً [**يد**] علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣.

(٤) الدر المنثور ج٢ ص١٩٣ وص ٢٩٨ عن أبي الشيخ.

«أيها الناس، إنه قد كرهت تخلفكم عني حتى خُيّل إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني..»[١].

٧ ـ ويقول نص آخر: إنه لما أمر «صلى الله عليه وآله» بنصب علي «عليه السلام»:

«خشي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قومه، وأهل النفاق، والشقاق: أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية، لِما عرف من عداوتهم، ولِما تنطوي عليه أنفسهم لعلي «عليه السلام» من العدواة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس».

ثم تذكر الرواية: «أنه انتظر ذلك حتى بلغ مسجد الخيف. فجاءه جبرائيل، فأمره بذلك مرة أخرى، ولم يأته بالعصمة، ثم جاء مرة أخرى في كراع الغميم ـ موضع بين مكة والمدينة ـ وأمره بذلك، ولكنه لم يأته بالعصمة. ثم لما بلغ غدير خم جاءه بالعصمة».

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، فأخبرهم:

«أن جبرائيل هبط إليه ثلاث مرات يأمره عن الله تعالى، بنصب علي «عليه السلام» إماماً ووليّاً للناس»..

إلى أن قال: «وسألت جبرائيل: ان يستعفي لي عن تبليغ ذلك

---

(١) راجع: مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ وتفسير العياشي ج١ ص٣٣١ وتفسير البرهان ج١ ص٤٨٩ وشواهد التنزيل ج١ ص١٩٢ والغدير ج١ ص٢١٩ و ٢٢٣ و ٣٧٧ عن المجمع، وعن روح المعاني ج٢ ص٣٤٨.

إليكم ـ أيها الناس ـ لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم: **(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)**[١]، **(وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)**[٢]، وكثرة أذاهم لي في غير مرّة، حتى سمّوني أُذناً، وزعموا: أنّي كذلك لكثرة ملازمته إيّاي، وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً: **(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ)**[٣].

إلى أن قال: ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لفعلت. ولكني والله في أمورهم تكرّمت»[٤].

٨ ـ عن مجاهد، قال: «لما نزلت: **(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..)**[٥]. قال:

«يا رب، إنما أنا واحد كيف أصنع، يجتمع عليّ الناس؟ فنزلت

---

(١) الآية ١١ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٥ من سورة النور.

(٣) الآية ٦١ من سورة التوبة.

(٤) راجع: مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ والغدير ج١ ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره كما في ضياء العالمين.

(٥) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)»[١].

٩ ـ قال ابن رستم الطبري:

«فلما قضى حجّه، وصار بغدير خم، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة، أمره الله عز وجل بإظهار أمر علي؛ فكأنه أمسك لما عرف من كراهة الناس لذلك، إشفاقاً على الدين، وخوفاً من ارتداد القوم؛ فأنزل الله **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ..)** [٢]»[٣].

١٠ ـ وفي حديث مناشدة علي «عليه السلام» للناس بحديث الغدير، أيّام عثمان، شهد ابن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال، وهو قائم على المنبر، وعلي «عليه السلام» إلى جنبه:

«أيها الناس، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي، ووصيي، وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرب(٤) بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإني راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق، وتكذيبهم،

---

(١) الاحتجاج ج١ ص٦٩ و ٧٠ و ٧٣ و ٧٤ وراجع: روضة الواعظين ص٩٠ و ٩٢ والبرهان ج١ ص٤٣٧ ـ ٤٣٨ والغدير ج١ ص٢١٥ ـ ٢١٦ عن كتاب «الولاية» للطبري.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ عن ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) المسترشد في إمامة علي «عليه السلام» ص٩٤ ـ ٩٥.

فأوعدني لأبلغها، أو ليعذبني»[١].

وعند سليم بن قيس: «إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت الناس يكذبوني، وأوعدني..»[٢].

١١ ـ وعن ابن عباس: لما أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقوم بعلي ابن أبي طالب المقام الذي قام به؛ فانطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، فقال: «رأيت الناس حديثي عهد بكفر (بجاهلية) ومتى أفعل هذا به، يقولوا، صنع هذا بابن عمّه. ثم مضى حتى قضى حجة الوداع»[٣].

وعن زيد بن علي، قال: لما جاء جبرائيل بأمر الولاية ضاق النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك ذرعاً، وقال:

«قومي حديثو عهد بجاهليّة، فنزلت الآية»[٤].

---

(١) لعل الصحيح: فقَرَنَ.

(٢) فرائد السمطين ج١ ص٣١٥ و ٣١٦ والغدير ج١ ص١٦٥ ـ ١٦٦ عنه، وإكمال الدين ج١ ص٢٧٧ وراجع: البرهان ج١ ص٤٤٥ و ٤٤٤ وكتاب سليم بن قيس ص١٤٩ وثمة بعض الاختلاف في التعبير.

(٣) كتاب سليم بن قيس ص١٤٨ والبرهان ج١ ص٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج١ ص١٩٦ عن كتاب سليم بن قيس.

(٤) الغدير ج١ ص٥١ ـ ٥٢ و ٢١٧ و ٣٧٨ عن كنز العمال ج٦ ص١٥٣ عن المحاملي في أماليه، وعن شمس الأخبار ص٣٨ عن أمالي المرشد بالله. وراجع: كشف الغمة ج١ ص٣١٨ وغير ذلك.

١٢ ـ وروي: أنه «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إلى غدير خم: «نزل عليه جبرائيل، وأمره أن يقيم علياً، وينصبه إماماً للناس.

فقال: إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية.

فنزل عليه: إنها عزيمة لا رخصة فيها، ونزلت الآية: **(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس..)** [١]» [٢].

١٣ ـ وجاء في رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنه حين نزلت آية إكمال الدين بولاية علي «عليه السلام»:

«قال عند ذلك رسول الله: إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني، فأتتني عزيمة من الله بتلةً أوعدني: إن لم أبلغِّ أن يعذبني. فنزلت: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)**[٣]»[٤].

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما أخر نصبه «عليه السلام» فَرَقاً من الناس، أو لمكان الناس[٥].

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) إعلام الورى ص١٣٢.

(٣) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٤) البرهان في تفسير القرآن ج١ ص٤٨٨ والكافي ج١ ص٢٣٠.

(٥) تفسير العياشي ج١ ص٣٣٢ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٨٩.

ممن الخوف يا ترى:

عن الحسن: «ضاق بها ذرعاً، وكان يهاب قريشاً. فأزال الله بهذه الآية تلك الهيبة»[١].

يريد: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» ضاق ذرعاً وخاف قريشاً بالنسبة لبلاغ أمر الإمامة، فأزال الله خوفه بآية: **(وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس)**.

المتآمرون:

هذا غيض من فيض مما يدل على دور المتآمرين من قريش، ومن يدور في فلكها في صرف الأمر عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وتصميمهم على ذلك، لأسباب أشير إلى بعضها في ما نقلناه سابقاً من كلمات ونصوص.

وفي مقدمة هذه الأسباب حرص قريش على الوصول إلى السلطة، وحقدها على أمير المؤمنين «عليه السلام» لما قد وترها في سبيل الله والدين.

وكل ما تقدم يوضح لنا السر فيما صدر من هؤلاء الحاقدين من صخب وضجيج، حينما أراد الرسول «صلى الله عليه وآله» في منى وعرفات: أن يبلغ الناس أمر الإمامة، ودورها، وأهميتها، وعدد

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣.

الأئمة، وأنهم اثنا عشر إماماً، وغير ذلك.

فإنهم تخوفوا من أن يكون قد أراد تنصيب علي «عليه السلام» إماماً للناس بعده. فكان التصدي منهم. الذي انتهى بالتهديد الإلهي. فاضطر المتآمرون إلى السكوت في الظاهر على مضض، ولكنهم ظلوا في الباطن يمكرون، ويتآمرون، **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[1].

فإلى توضيح ذلك فيما يلي من صفحات، وما تحويه من مطالب.

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

الفصل الرابع:

الموقف ـ الفضيحة

الصخب والغضب:

لقد ذكرت الروايات الصحيحة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد خطب الناس في حجة الوداع؛ في عرفة، فلما أراد أن يتحدث في أمر الإمامة وذكر حديث الثقلين[١]، ثم ذكر عدد الأئمة، وأنهم اثنا عشر، واجهته فئات من الناس بالضجيج والفوضى، إلى حد أنه لم يتمكن من إيصال كلامه إلى الناس.

وقد صرح بعدم التمكن من سماع كلامه كل من: أنس، وعبدالملك بن عمير، وعمر بن الخطاب، وأبي جحيفة، وجابر بن سمرة[٢] ـ ولكن رواية هذا الأخير، كانت أكثر وضوحاً.

ويبدو أنه قد روى ذلك مرات عديدة، فرويت عنه بأكثر من طريق. فنحن نختار بعض نصوصها ـ ولا سيما ما ورد منها في الصحاح والكتب المعتبرة، فنقول:

---

(١) راجع: حديث الثقلين للوشنوي ص١٣ وما ذكره من مصادر..

(٢) راجع: كفاية الأثر للخزاز، وراجع أيضاً: إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ وغير ذلك.

١ ـ في مسند أحمد؛ حدّثنا عبدالله، حدثني أبو الربيع الزهراني، سليمان بن داود، وعبيدالله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات ـ وقال المقدمي في حديثه: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخطب بمنى.

وهذا لفظ حديث أبي الربيع: فسمعته يقول: لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً، حتى يملك اثنا عشر كلهم ـ ثم لغط القوم، وتكلموا ـ فلم أفهم قوله بعد [كلّهم]؛ فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلّهم؟.

قال: «كلّهم من قريش»..

وحسب نص النعماني: «فتكلم الناس، فلم أفهم، فقلت لأبي..»[١].

٢ ـ عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة.

قال: «فجعل الناس يقومون ويقعدون».

زاد الطوسي: «وتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي، أو لأخي»[٢].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ والغيبة ـ للنعماني ص١٢٢ و ١٢٤.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ والغيبة ـ للطوسي ص٨٨ و ٨٩ واعلام الورى ص٣٨٤ والبحار ج٦٣ ص٢٣٦ منتخب الأثر ص٢٠.

وفي حديث آخر عن جابر بن سمرة صرّح فيه: «أن ذلك قد كان في حجة الوداع»[١].

ومن المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يحج إلا هذه الحجَّة..[٢].

٣ ـ عن جابر بن سمرة، قال: «خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات؛ فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر، كلهم ـ قال: فلم أفهم ما بعد ـ قال: فقلت لأبي: ما قال بعد كلّهم؟

قال: «كلّهم من قريش»[٣].

وعن أبي داود وغيره: ـ وإن لم يصرّح بأن ذلك كان في عرفات ـ زاد قوله: كلّهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبي «صلى الله عليه وآله» لم أفهمه، فقلت لأبي.. [٤].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩.

(٢) راجع: السيرة الحلبية (مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٢٨٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج٣ ص٢.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ وفي ص٩٦ في موضعين.

(٤) سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٤٠٠ وتاريخ الخلفاء ص١٠ و ١١ وراجع: فتح الباري ج١٣ ص١٨١ وكرر عبارة: «كلهم تجتمع عليه الأمة» في ص١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ وذكرها أيضاً في: الصواعق المحرقة ص١٨ وفي إرشاد الساري ج١٠ ص٢٧٣ وينابيع

وفي لفظ آخر: «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»[١].

وفي بعض الروايات: ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟!

قال: قال: «كلهم من بني هاشم»[٢].

٤ ـ وذكر في نص آخر: أن ذلك كان في حجة الوداع، وقال: ثم خفي عليّ قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني؛ فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟!

قال: يقول «كلهم من قريش».

قال: فأشهد على أبي إفهام أبي إيّاي: قال: «كلهم من قريش»[٣].

٥ ـ وبعد أن ذكرت رواية أخرى عنه حديث أن الأئمة اثنا عشر قال: ثم تكلم بكلمة لم أفهمها، وضج الناس؛ فقلت لأبي: ما قال؟[٤].

المودة ص٤٤٤ وراجع: الغيبة ـ للطوسي ص٨٨ و الغيبة ـ للنعماني ص١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤.

(١) الخصال ج٢ ص٤٧٤ والبحار٣٦ ص٢٤٠ عنه وعن عيون أخبار الرضا «عليه السلام».

(٢) ينابيع المودة ص٤٤٥ عن كتاب مودة القربى للسيد علي الهمداني، المودة العاشرة.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٠.

(٤) مسند أحمد ج٥ ص٩٣.

٦ ـ ولفظ مسلم عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعي أبي؛ فسمعته يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة؛ فقال كلمة صمّنيها الناس.

فقلت لأبي: ما قال؟

قال: «كلهم من قريش».

وعند أحمد وغيره: فقلت لأبي ـ أو لإبني ـ: ما الكلمة التي أصمّنيها الناس؟!.

قال: «كلهم من قريش»[١].

٧ ـ وعن جابر بن سمرة قال: كنت عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يلي هذا الأمر اثنا عشر، فصرخ الناس؛ فلم أسمع ما قال، فقلت لأبي ـ وكان أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني ـ فقلت: ما قال رسول الله؟

فقال: قال: «كلّهم من قريش، وكلهم لا يُرى مثله»[٢].

---

(١) صحيح مسلم ج٦ ص٤ وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ عنه مسند أحمد ج٥ ص٩٨ و ١٠١ والبحار ج٣٦ ص٢٣٥ والخصال ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧٢ والعمدة ـ لابن البطريق ص٤٢١ وراجع: النهاية في اللغة ج٣ ص٥٤ ولسان العرب ج١٢ ص٣٤٣ ونقل عن كتاب القرب في محبة العرب ص١٢٩.

(٢) أبواب الاثني عشر وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ والبحار ج٣٦ ص٢٣٩.

٨ ـ ولفظ أبي داود: فكبر الناس، وضجوا، ثم قال كلمة خفية.. [١].

ولفظ أبي عوانة: فضج الناس.

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» كلمة خفيت عليّ.. [٢].

وعلى كل حال.. فإن حديث الإثني عشر خليفة بعده «صلى الله عليه وآله»، والذي قال فيه «صلى الله عليه وآله» كلمة لم يسمعها جابر، وغيره ـ ممن كان حاضراً، وروى الحديث.. أو لم يفهمها، أو خفض بها صوته، أو خفيت عليه، أو نحو ذلك ـ إن هذا الحديث ـ مذكور في كثير من المصادر والمراجع، فليراجعها طالبها[٣].

---

(١) سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وإرشاد الساري ج١٠ ص٢٣٧.

(٢) مسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤.

(٣) راجع المصادر التالية: صحيح مسلم ج٦ ص٣ بعدة طرق ومسند أحمد ج٥ ص٩٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٨٩ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ واعلام الورى ص٣٨٢ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ ـ ٤٢٢ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ و ٢٧٣ والخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٥ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ ـ ١٨٥ والغيبة للنعماني ص١١٩ ـ ١٢٥ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥٩ وينابيع المودة ص٤٤٤ ـ ٤٤٦ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٦ وج١٤ ص٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٦١٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) نفس

إلفات النظر إلى أمرين:

وقبل أن نواصل الحديث، فيما نريد التأكيد عليه، فإننا نلفت النظر إلى أمرين.

الأول: المكان ..

فقد اختلفت الروايات حول المكان الذي أورد فيه النبي «صلى الله عليه وآله» هذه الخطبة. فذكرت طائفة من الروايات: أن ذلك قد كان في حجة الوداع، في عرفات.

ورواية واحدة تردد فيها الرواي بين عرفات ومنى.

وهناك طائفة من الروايات عبّرت بـ «المسجد»[1].

وسكتت روايات أخرى عن التحديد. مع أنها جميعاً قد تحدثت عن حدوث فوضى وضجيج، لم يستطع معه الراوي أن يسمع بقية كلام

الصفحة ومنتخب الأثر ص١٠ ـ ٢٣ عن مصادر كثيرة والجامع الصحيح ج٤ ص٥٠١ وسنن أبي داود ج٤ ص١١٦ وكفاية الأثر ص٤٩ إلى آخر الكتاب والبحار ج٣٦ ص٢٣١ إلى آخر الفصل وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ ـ ٥٠ عن مصادر كثيرة..

(١) راجع بالنسبة لخصوص هذه الطائفة من الروايات: الخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٢ كفاية الأثر ص٥٠ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٨ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ والبحار ج٣٦ ص٢٣٤ ومنتخب الأثر ص١٩.

الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»؛ وتوجد روايات أشارت إلى عدم فهم الرواي، ولكنها لم تشر إلى الضجيج.

فهل كرر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك في المواضع المختلفة فكان يواجه بالضجيج والفوضى؟! ويكون المقصود بالمسجد، هو المسجد الموجود في منى، أو عرفة؟! إن لم يكن ذكر منى اشتباهاً من الراوي. أم أنه موقف واحد، اشتبه أمره على الرواة والمؤرخين؟!

أم أن ثمة يداً تحاول التلاعب والتشويش بهدف طمس الحقيقة، وإثارة الشبهات حول موضوع هام وحساس جداً. ألا وهو موضوع الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قد يمكن ترجيح احتمال تعدد المواقف، التي أظهرت إصرار فئات الناس على موقف التحدي، والخلاف. وذلك بسبب تعدد الناقلين، وتعدد الخصوصيات والحالات المنقولة.

وقد صرحوا: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب في حجته تلك: خمس خطب. واحدة في مكة، وأخرى في عرفات، والثالثة يوم النحر بمنى، ثم يوم النفر بمنى، ثم يوم النفر الأول.

وحتى إن كان موقفاً واحداً، فإن الذي نرجحه هو أن يكون ذلك في عرفات..

الثاني: كلهم من قريش..

قد ذكرت الروايات أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال: «كلهم من

قريش»..

والسؤال هو:

هل قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك حقاً؟!

وإذا كان قد قاله، فما هو السبب في ذلك؟

ألا يعتبر ذلك نوعاً من التخفيف من لهجة رفض المنطق القبلي؟

أضف إلى ذلك: أن ما تقدم من حقيقة الموقف الظالم لقريش، ومن هم على رأيها، وخططهم التي تستهدف تقويض حاكمية خط الإمامة، قد يشجع على استبعاد صدور كلمة «كلهم من قريش» منه «صلى الله عليه وآله».. وترجيح أن تكون العبارة التي لم يسمعها جابر بن سمرة، وأنس، وعمر بن الخطاب، وعبد الملك بن عمير، وأبو جحيفة، بسبب ما أثاره المغرضون من ضجيج، هي عبارة: «كلهم من بني هاشم». كما ورد في بعض النصوص[١].

وهي الرواية التي استقر بها القندوزي الحنفي، على أساس: أنهم «لا يحسّنون خلافة بني هاشم»[٢].

غير أننا نقول:

إننا نرجح أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد قال الكلمتين معاً،

---

(١) ينابيع المودة ص٤٤٥ عن مودة القربى، وراجع: منتخب الأثر ص١٤ وهامش ص١٥ عنه.

(٢) ينابيع المودة ص٤٤٦.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كلهم من قريش، كلهم من بني هاشم». ويكون ذكر الفقرة الأولى توطئة، وتمهيداً لذكر الثانية؛ ولكن قريشاً قد عرفت ما يرمي إليه «صلى الله عليه وآله»، خصوصاً بعد أن ذكر لهم حديث الثقلين، فثارت ثائرتها هي وأنصارها، وعجوا وضجوا، وقاموا وقعدوا!!..

وإلا.. فإن قريشاً، ومن يدور في فلكها لم يكن يغضبهم قوله «صلى الله عليه وآله»: «كلهم من قريش» بل ذلك يسرهم، ويفرحهم، لأنه هو الأمر الذي ما فتئوا يسعون إليه، بكل ما أوتوا من قوة وحول، ويخططون ويتآمرون، ويعادون، ويحالفون من أجله، وعلى أساسه، فلماذا الهياج والضجيج، ولماذا الصخب والعجيج، لو كان الأمر هو ذلك؟!.

الموقف، الفضحية:

ولا نشك في أن طائفة الأخيار، والمتقين الأبرار من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تلتزم بأوامره «صلى الله عليه وآله»، وتنتهي بنواهيه، وتسلم له «صلى الله عليه وآله» في كل ما يحكم ويقضي به.

ولكن هؤلاء كانوا فئة قليلة إذا قيست بالفئة الأخرى، المتمثلة بأصحاب الأهواء، وطلاب اللبانات، وذوي الطموحات، ممن لم يسلموا، ولكنهم غلبوا على أمرهم، فاستسلموا، وأصبح كثير منهم يتظاهر بالورع، والدين والتقوى، والطاعة والتسليم لله، ولرسوله،

متخذاً ذلك ذريعة للوصول إلى مآربه، وتحقيق أهدافه.

أما هؤلاء، الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون، ويسرون غير ما يعلنون، فقد كان لا بد من كشف زيفهم وإظهار خداعهم بصورة أو بأخرى.

وقد رأينا: كيف أن هؤلاء الذين كانوا يتبركون بفضل وضوء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحتى ببصاقه، ونخامته، ويدّعون الحرص على امتثال أوامر الله سبحانه بتوقيره، وبعدم رفع أصواتهم فوق صوته[1]، وبالتأدّب معه، وبأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله و.. و..

لقد رأينا أن هؤلاء بمجرد إحساسهم بأنه «صلى الله عليه وآله»

---

(١) راجع: الآيتان ١ و ٢ من سورة الحجرات.
وقد ورد أنّ هذه الأيات نزلت حينما حصل اختلاف فيما بين أبي بكر وبين عمر حول تأمير بعض الأشخاص من قبل النبي فأصر أحدهما على شخص وأصر الآخر على آخر حتى ارتفعت أصواتهما.
راجع: الدر المنثور ج٦ ص٨٣ ـ ٨٤ عن البخاري وابن المنذر وابن مردويه وأسباب النزول ص٢١٨ وصحيح البخاري ج٣ ص١٢٢ والجامع الصحيح ج٥ ص٣٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ ولباب التأويل ج٤ ص١٦٤ وفتح القدير ج٥ ص٦١ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٦ ص٧٢.

يريد الحديث عن الأئمة الاثني عشر، وبيان مواصفاتهم ـ ويتجه نحو تحديدهم بصورة أدق، وأوفى وأتم ـ كيف ثارت ثائرتهم. وأن خشيتهم من إعلان إمامة من لا يرضون إمامته، وخلافة من يرون أنه قد وترهم، وأباد خضراءهم في مواقفه المشهورة، دفاعاً عن الحق والدين ـ ألا وهو علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أظهر حقدهم، فعلا ضجيجهم، وزاد صخبهم، والتعبيرات التي وردت في الروايات واصفة حالهم، هي مثل:

«ثم لغط القوم وتكلموا».

أو: «وضج الناس».

أو: «فقال كلمة أصمّينها الناس».

أو: «فصرخ الناس، فلم أسمع ما قال».

أو: «فكبر الناس، وضجوا».

أو: «فجعل الناس يقومون، ويقعدون».

نعم، لقد كان هذا هو موقفهم من الرسول، وهؤلاء هم الذين يدعي البعض لهم مقام العصمة عن كل ذنب، ويمنحهم وسام الاجتهاد في الشريعة والدين (!!).

التدبير النبوي:

وتوضيحاً لما جرى نقول:

لقد حج النبي «صلى الله عليه وآله»، في تلك السنة، فاجتمع إليه مئة وعشرون ألفاً، أو تسعون ألفاً، أو سبعون ألفاً.. ليحجوا معه، وقيل غير ذلك..[١].

وكان معظم هؤلاء الناس قد أسلموا، أو أرسلوا وفوداً إلى المدينة ليعلموه بإسلامهم بعد فتح مكة أي في سنة تسع ـ سنة الوفود ـ وسنة عشر، وأما المسلمون من عدا هؤلاء، وأهل المدينة أنفسهم، فكانوا قلة قليلة جداً، حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لهم في سنة ست: «اكتبوا لي كل من تلفظ بالإسلام»، فكتب له حذيفة ألفاً وخمس مئة رجل..[٢].

وفي رواية أخرى: «ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة»..[٣]

ولا شك أن فيهم صحيح الإيمان، وفيهم المدخول والمنافق قال تعالى: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ)**[٤].

ومن الواضح: أن الذين تلفظوا بالإسلام كانوا منتشرين في

---

(١) راجع: السيرة النبوية لأحمد دحلان، باب حجة الوداع.

(٢) الإحتجاج ج١ ص٢٠٠ والبحار ج٢٨ ص٢٠٢ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٢ عن كتاب أبطال الاختيار بسنده عن أبان بن عثمان عن الإمام الصادق «عليه السلام».

(٣) راجع ذلك في كتابنا: «السوق في ظل الدولة الإسلامية» ص٦٨.

(٤) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

المدينة وحولها، وفي الحبشة أيضاً، وفي غير ذلك من المناطق.

وقد فرض الإسلام وجوده، وهيبته تلك السنين التي كانت زاخرة بالتحديات، وسمع به القاصي والداني..

وكان المهاجرون في المدينة، فريقان:

أحدهما: الأنصار، وهم أهل المدينة أنفسهم.

والآخر: القرشيون المهاجرون من مكة ـ بصورة عامة ـ .

وكان المهاجرون يدبرون لإبعاد أمر الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الإمام علي «عليه السلام»، وقد تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك..

وكان المراقب لتصرفاتهم في مختلف الموارد يدرك مدى انحرافهم عن الإمام علي «عليه السلام»، وأنهم تكتل واضح المرامي والأهداف، ظاهر التباين والاختلاف، لا مجال لأن يفكر بالإنصياع للتوجيهات النبوية، ولا حتى للقرارات الإلهية فيما يرتبط بالإمام علي «عليه السلام»، في مختلف الظروف والأحوال..

وقد حج منهم مع رسول الله بضع عشرات، قد لا يصلون إلى المئات.. ولكن ثقلهم الحقيقي كان في مكة، التي أظهرت في السنة الثامنة من الهجرة، الاستسلام للإسلام، بالإضافة إلى ما حولها من البلاد والعباد، الذين يخضعون لنفوذها، ويلتقون في مصالحهم معها..

ولأجل ذلك وجد المهاجرون الطامحون، في قريش، وفي مكة وما والاها، عضداً قوياً، وسنداً لهم، شجعهم على مواجهة رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، بهذه الحدة والشدة التي سلفت الإشارة إليها..

وبعد أن فعلوا فعلتهم الشنيعة تلك، وظنوا أنهم قد ربحوا معركتهم ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بمنعهم إياه من الإعلان على الحجيج تنصيب علي في مقام الإمامة.

كان التخطيط النبوي الحكيم يقضي، بأن يخرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة فور انتهاء مراسم الحج مباشرة، ومن دون تفويت ساعة، بل دقيقة واحدة من الوقت، فنفر في اليوم الثالث عشر من منى بعد الزوال..[١] وبعد أن طاف بالبيت خرج من مكة..[٢].

لأن أي تعلل، أو تأخر، سوف يكون معناه أن يخرج أشتات من الناس إلى بلادهم ولا يتمكن النبي «صلى الله عليه وآله»، من إيصال ما يريد إيصاله إليهم.

وقد قطع «صلى الله عليه وآله» المسافة ما بين مكة والجحفة، حيث يوجد غدير خم، وهي عشرات الكيلومترات، ـ فقطعها ـ في أربعة أيام فقط، ثم نصب علياً هناك إماماً للأمة، وبايعه حتى أشد الناس اعتراضاً على رسول الله، ولم يجرؤا على التفوه ببنت شفة إلا همساً..

لأنهم وجدوا أنفسهم أفراداً قليلين، لا يتجاوزون بضع عشرات

---

(١) السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٣٠٦.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٣٠٧.

من الناس بين عشرات الألوف، فإن حماتهم، وهم مكة وما ولاها، قد بقيت وراء ظهورهم، وأما اليمن، فقد أسلمت طائفة من أهلها قبل أيام يسيرة على يد الإمام علي «عليه السلام»، الذي لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» في مكة.. مع بعض من أسلم على يديه..

ظهور الأحقاد والمصارحة المرة:

وقد تقدمت كلمات أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» التي صرح فيها بأن العرب كرهت أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته.

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة للرياسة، وسلماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً.

وعلى هذا، فإن من الطبيعي جداً: بعد أن جرى ما جرى منهم معه «صلى الله عليه وآله» في منى وعرفات وبعد أن تأكد لديهم إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على جعل الأمر في أهل بيته، ولعلي «عليه السلام» على وجه الخصوص، أن يظهر الحقد والبغض على وجوههم، وفي حركاتهم وتصرفاتهم، وعلى مجمل مواقفهم. وصاروا يعاملون رسول الله «صلى الله عليه وآله» معاملة غريبة، وبصورة بعيدة حتى عن روح المجاملة الظاهرية.

وقد واجههم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الحقيقة، وصارحهم بها، في تلك اللحظات بالذات. ويتضح ذلك من النص

المتقدم في الفصل السابق والذي يقول:

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بخم فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي تأخر الناس، فأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسداً [يد] علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه.. ثم قال:

«أيها الناس، إنه قد كَرِهْتُ تخلفكم عني، حتى خُيِّلَ إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»(١).

وروى ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري ـ كما رواه آخرون بأسانيد بعضها صحيح أيضاً:

إنه حين رجوع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة، ـ حتى إذا بلغ الكديد أو [قدير]، جعل ناس من أصحابه يستأذنون، فجعل «صلى الله عليه وآله» يأذن لهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر»؟.

قال: فلم نر من القوم إلا باكياً.

---

(١) راجع: مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ والغدير ج١ ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره كما في ضياء العالمين.

قال: يقول أبو بكر: «إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه في نفسي الخ..»[١].

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤ ومسند أحمد ج٤ ص١٦ ومسند الطيالسي ص١٨٢ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٤٠٨ وقال: رواه الطبراني والبزاز بأسانيد رجال بعضها عند الطبراني والبزاز رجال الصحيح وكشف الأستار عن مسند البزار ج٤ ص٢٠٦ وقال في هامش الإحسان: إنه في الطبراني برقم: ٤٥٥٦ و ٤٥٥٩ و ٤٥٥٧ و ٤٥٥٨ و ٤٥٦٠.

الفصل الخامس :

الغدير

في ظل التهديدات الإلهية

قريش وخلافة بني هاشم:

قد عرفنا في الفصل السابق: أن قريشاً، ومن هم على رأيها هم الذين كانوا يخططون لصرف الأمر عن بني هاشم، وبالذات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه الصلاة والسلام»، ويتصدون لملاحقته ومتابعته في جميع تفاصيله وجزئياته.

وقد رأوا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في مختلف المواقع والمواضع لا يزال يهتف باسمه، ويؤكد على إمامته، ولم يكن في مصلحتهم أن يعلن بذلك أمام تلك الجموع الغفيرة، التي جاءت للحج من جميع الأقطار والأمصار، ولأجل ذلك فقد بادروا إلى التشويش والإخلال بالنظام. قريش بالذات هي التي قصدت النبي «صلى الله عليه وآله» في منزله بعد هذا الموقف مباشرة لتستوضح منه ماذا يكون بعد هؤلاء الأئمة.

فكان الجواب: ثم يكون الهرج.

وفي نص آخر: «الفرج»، كما رواه الخزاز[١].

والظاهر: أن هذا هو الصحيح..

وقد رأى النبي «صلى الله عليه وآله»: أن مجرد التلميح لهذا الأمر، قد دفعهم إلى هذا المستوى من الإسفاف والإسراف في التحدي لإرادة الله سبحانه. ولشخص النبي «صلى الله عليه وآله»، دون أن يمنعهم من ذلك شرف المكان، ولا خصوصية الزمان، ولا قداسة المتكلم، وشأنه وكرامته.

فكيف لو أنه «صلى الله عليه وآله» صرح بذلك وجهر باسمه «عليه الصلاة والسلام»، فقد يصدر منهم ما هو أمر وأدهى، وأشر وأقبح، وأشد خطراً على الإسلام، وعلى مستقبله بصورة عامة.

وقد فضح الله بذلك أمر هؤلاء المتظاهرين بغير حقيقتهم، أمام فئات من الناس، جاءت للحج من كل حدب وصوب، وسيرجعون بذكريات مرة عن هؤلاء الناس ليحدثوا بها أهلهم، وأصدقاءهم، وزوارهم.. في زمان كان الرجوع من سفر كهذا، والنجاة من أخطاره ومشقاته، بمثابة ولادة جديدة..

التدخل الإلهي:

ثم جاء التهديد الإلهي لهم، فحسم الموقف، وأبرم الأمر، وظهر

---

(١) راجع: كفاية الأثر ص٥٢ ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني وغيرهما. فإنهم صرحوا بان قريشاً هي التي أتته.

لهم أنهم عاجزون عن الوقوف في وجه إرادة الله، القاضية بلزوم إقامة الحجة على الناس كافة، بالأسلوب الذي يريده الله ويرتضيه. وأدركوا: أن استمرارهم في المواجهة السافرة قد يؤدي بهم إلى حرب حقيقية، مع الله ورسوله، وبصورة علنية ومكشوفة.

فلم يكن لهم بد من الرضوخ، والانصياع، لا سيما بعد أن أفهمهم الله سبحانه: أنه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين، وأساس الرسالة، وأن معارضتهم لهذا الإبلاغ، تجعلهم في جملة أهل الكفر، المحاربين، الذين يحتاج الرسول إلى العصمة الإلهية منهم.

وهذه الأمور الثلاثة قد تضمنتها الآية الكريمة التي حددت السياسة الإلهية تجاههم:

(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ الله لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)[1].

والتركيز على هذه الأمور الثلاثة معناه: أن القرار الإلهي هو أنه تعالى سوف يعتبر عدم تبليغ هذا الأمر للناس بصورة علنية أنه عودة إلى نقطة الصفر، وخوض حروب في مستوى بدر، وأحد والخندق، وسواها من الحروب التي خاضها المسلمون ضد المشركين، من أجل تثبيت أساس الدين وإبلاغه.

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ومن الواضح لهم: أن ذلك سوف ينتهي بهزيمتهم وفضيحتهم، وضياع كل الفرص، وتلاشي جميع الآمال في حصولهم على امتياز يذكر، أو بدونه، حيث تكون الكارثة بانتظارهم، حيث البلاء المبرم، والهلاك والفناء المحتّم.

فآثروا الرضوخ ـ مؤقتاً ـ إلى الأمر الواقع، والانحناء أمام العاصفة، في سياسة غادرة وماكرة.. ولزمتهم الحجة، بالبيعة التي أخذت منهم له «عليه السلام» في يوم الغدير. وقامت الحجة بذلك على الأمة بأسرها أيضاً. ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك. وكان ذلك قبل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً..

سياسة الفضائح:

ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من ادعاء التوبة عما صدر، والندم على ما بدر منهم، وادعاء أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي عليهم وسامحهم، وأنه قد استجدت أمور دعت النبي إلى العدول عن ذلك كله، وأنه صرف النظر عن تولي الإمام علي «عليه السلام» للأمور بعده.. لأنه رأى أن العرب لن ترضى بهذا الأمر، لأن علياً «عليه السلام» قد وترها، وقتل رجالها.. أو لغير ذلك من أسباب..

١ ـ فكانت قضية تجهيز جيش أسامة، وظهور عدم انصياعهم لأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» في المسير مع ذلك الجيش، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» قد لعن من تخلف عن جيش أسامة..

كانت هذه القضية هي الدليل الآخر على أنهم لا يزالون على

سياساتهم تجاه النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنهم لا يزالون بصدد عصيان أوامره، رغم شدة غضبه «صلى الله عليه وآله»، منهم، ولعنه لهم..

وقد يعتذرون عن ذلك بأن حبهم للنبي «صلى الله عليه وآله»، وخوفهم من أن يحدث له أمر في غيبتهم، هو الذي دعاهم إلى هذا العصيان، فليس هو عصيان عن سوء نية، بل هو يدل على أنهم في غاية درجات الحسن والصلاح..

ثم إنهم قد يقولون للناس ـ وقد قالوا ذلك بالفعل ـ: إن لعن النبي لهم هو من أسباب زيادة درجات الصلاح فيهم، حيث رروا عنه «صلى الله عليه وآله» زوراً وبهتاناً، أنه قال:

«والله إني بشر، أرضى وأغضب، كما يغضب البشر، اللهم من سببته، أو لعنته، فاجعل ذلك زكاة له ورحمة»..[1].

٢ ـ فجاءت قضية صلاة أبي بكر بالناس، في مرض موته «صلى الله عليه وآله»، وعزل النبي «صلى الله عليه وآله» له عنها، لتفسد عليهم أي ادعاء لأن يكون أهلاً لما هو أدنى من مقام إمامة الأمة، وخلافة النبوة، فإن عدم أهليته حتى للإمامة في الصلاة، فضلاً عن التي لا تحتاج إلا إلى تصحيح القراءة والعدالة، يكشف عن عدم

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٦ ص٧٠.

صلاحيته لمقام الإمامة الذي يحتاج إلى العلم، وإلى العدالة، وإلى الشجاعة، وإلى غير ذلك من صفات..

ولكن قد يعتذرون عن ذلك بالتشكيك في اشتراط العدالة، ويروون عن النبي «صلى الله عليه وآله» زوراً وبهتاناً أيضاً أنه قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر».. ثم يفتي فقهاؤهم بذلك، أو يدّعون أن النبي هو الذي صلى خلف أبي بكر، كما صلى ـ بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد ـ خلف عمرو بن العاص.. ويدّعون.. ويدّعون..

٣ ـ فجاءت قضية كتابة النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب الذي لن يضلوا بعده أبداً، لتظهر كيف أنهم لا يتورعون حتى عن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله، حتى ليقول قائلهم: «إن النبي ليهجر»!! أو قال كلمة معناها: «غلبه الوجع».

وكان القائل لذلك هو عمر بن الخطاب بالذات.

رغم أنه «صلى الله عليه وآله» ما قال لهم: أريد أن أعين الخليفة بعدي، بل قال: «أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً».. فواجهوه بهذا الأمر العظيم، فكيف لو زاد على ذلك ما هو أوضح وأصرح؟!

ألا يحتمل أن يبادروا حتى إلى قتله؟!

ثم إنهم قد يعتذرون عن ذلك أيضاً بأن عمر بن الخطاب قد ندم وتاب، وقد يدعون أنه اعتذر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأنه «صلى الله عليه وآله» قد صفح عنه وسامحه.

بل لقد قالوا: إن ما صنعه عمر، من منع النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب كان هو الأصح والأصلح، وأنه لو كتب ذلك الكتاب لاختلف المسلمون، ولكانت المصيبة أعظم.

٤ ـ فجاء ما جرى على السيدة الزهراء «عليها السلام» ليؤكد إصرارهم على مناوأة النبي «صلى الله عليه وآله» في أهدافه، وعلى أنهم لا يتورعون حتى عن الاعتداء على البنت الوحيدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلى حد إسقاط الجنين وكسر الضلع، والضرب إلى حد التسبب باستشهادها.. وذلك بعد أن جمعوا الألوف من المقاتلين خصوصاً من قبيلة بني أسلم. التي كانت تعيش بالقرب من المدينة أعرابيتها، وقد قال تعالى: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ)**[1].

وقد يقولون للناس أيضاً: لعن الله الشيطان لقد كانت ساعة غضب وعجلة، ولم نكن نحب أن نسيء إلى بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد ندمنا أعظم الندم على ما صدر وبدر منا ـ رغم أن لنا، أسوة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه إذا كان النبي قد بدر منه حين الغضب ما لا يناسب مقامه، فكيف يمكن تنزيه غيره «صلى الله عليه وآله» عن مثل ذلك..

وهذا معناه: أن ما صدر منهم لا يعني بالضرورة أنهم لا

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

يصلحون لمقام الإمامة والخلافة، خصوصاً وأن ما صدر منهم تجاه السيدة الزهراء «عليها السلام» إنما كان في ساعات حرجة، فيه الكثير من الانفعال والتوتر، وقد كانوا ـ بزعمهم ـ يسعون فيها إلى حفظ الإسلام، قبل انتشار الأمر، وفساد التدبير..

٥ ـ فجاءت قضية فدك لتبين أن هؤلاء غير صادقين فيما يدعونه، وأنهم يفقدون أدنى المواصفات لمقام خلافة النبوة فهم:

غير مأمونين على دماء الناس، كما أظهره فعلهم بالسيدة الزهراء «عليها السلام».

وغير مأمونين على أعراضهم كما أوضحه هتكهم لحرمة بيتها وهي التي تقول: خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل.

وغير مأمونين على أموال الناس كما أوضحه ما صنعوه في فدك..

فإذا كانوا لا يحفظون أموال ودماء وعرض رسول الله، فهل يحفظون دماء وأعراض وأموال الضعفاء من الناس العاديين؟!

وإذا كانوا يجهلون حكم الإرث، فقد علمتهم إياه السيدة الزهراء «عليها السلام».

وبعد التعليم، والتذكير فإن الإصرار يدل على فقدانهم لأدنى درجات الأمانة والعدل.

فهل يمكنهم بعد ذلك كله ادعاء أنهم يريدون إقامة العدل، وحفظ الدماء، والأعراض، والأموال، وتعليم الناس دينهم، وتربيتهم، وبث

فضائل الأخلاق فيهم، وغير ذلك..

وعلى كل حال، فإن النتيجة هي أن هؤلاء القوم قد أصروا على صرف هذا الأمر عن الإمام علي «عليه السلام»، ونكثوا بيعته، وأجبروا الناس على البيعة لهم..

وقد توسلوا للوصول إلى أهدافهم بقوة السلاح، حيث جهزوا ألوفاً من المقاتلين من قبيلة بني أسلم، وعرضوا على الناس البيعة وأهانوهم، من أجل ذلك، وسحبوهم إلى البيعة من بيوتهم، سحباً وحملوهم عليها قهراً، وجبراً، كما صرحت به النصوص التاريخية.

بل إنهم صاروا يبحثون عن الناس في بيوتهم، ويخرجونهم منها بالقوة، وكان هناك من يدلهم على البيوت التي اختبأ فيها أفراد لا يريدون البيعة لأبي بكر..

وبعد، فإنه إن كان هناك أفراد يحبون نصرة الإمام علي «عليه السلام»، فكيف يصلون إليه، بعد أن تضايقت سكك المدينة ببني أسلم؟! وأخذوا عليهم أقطار الأرض، وآفاق السماء؟!!

وقد كان ذلك بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وإحساسهم بالأمن، وبالقوة.

(فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)[1].

(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا

---

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح.

كَانُوا يَفْتَرُونَ)[1].

تذكير ضروري: الورع والتقوى

وقد يدور بخلد بعض الناس السؤال التالي: إنه كيف يمكن أن نصدق أن يقدم عشرات الألوف من الصحابة على مخالفة ما رسمه النبي «صلى الله عليه وآله» لهم في أمر الخلافة والإمامة. وهم أصحابه الذين رباهم على الورع والتقوى، وقد مدحهم الله عز وجل في كتابه العزيز، وذكر فضلهم، وهم الذين ضحوا في سبيل هذا الدين، وجاهدوا فيه بأمواله وأنفسهم!!

ونقول في الجواب:

إن ما يذكرونه حول الصحابة أمر مبالغ فيه. وذلك لأن الصحابة الذين حجوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» قبيل وفاته، وإن كانوا يعدون بعشرات الألوف.

ولكن لم يكن هؤلاء جميعاً من سكان المدينة، ولا عاشوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» فترات طويلة، تسمح له بتربيتهم وتزكيتهم، وتعليمهم وتعريفهم على أحكام الإسلام، ومفاهيمه.

بل كان أكثرهم من بلاد أخرى بعيدة عن المدينة أو قريبة منها وقد فازوا برؤية النبي «صلى الله عليه وآله» هذه المرة، وقد يكون بعضهم قد رآه قبلها أو بعدها بصورة عابرة أيضاً، وقد لا يكون رآه.

---

(١) الآية ١٣ من سورة العنكبوت.

ولعل معظمهم ـ بل ذلك هو المؤكد ـ قد أسلم بعد فتح مكة، وفي عام الوفود، سنة تسع من الهجرة: فلم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، مما هو في حدود بعض الطقوس الظاهرية والقليلة.

وقد تفرق هؤلاء بعد واقعة الغدير مباشرة، وذهب كل منهم إلى أهله وبلاده.

ولم يبق مع رسول الله بعد حادثة الغدير، الا أقل القليل، ربما بضعة مئات من الناس، ممن كان يسكن المدينة.

وربما كان فيهم العديد من الخدم والعبيد، والأتباع، بالإضافة إلى المنافقين والذين مردوا على النفاق، ممن أخبر الله عن وجودهم، وأنهم كانوا ممن حولهم الأعراب ومن أهل المدينة، ولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلمهم بصورة تفصيلية، وكان الله سبحانه هو الذي يعلمهم..[١].

قال تعالى: **(وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)**[٢].

هذا إلى جانب فئات من الناس، من أهل المدينة نفسها، كانوا لا

---

(١) الظاهر: أنه لا يعلمهم في مقام الظاهر وفقاً لوسائل العلم العادية أما بعلم الشاهدية فإنه كان «صلى الله عليه وآله» يرى أعمال الخلائق..

(٢) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

يملكون درجة كافية من الوعي للدين، وأحكامه ومفاهيمه، وسياساته، بل كانوا مشغولين بزراعاتهم، وبأنفسهم، وملذاتهم، وتجاراتهم، فإذا رأوا تجارة أو لهواً، انفضوا إليها، وتركوا النبي «صلى الله عليه وآله» قائماً.

وقد تعرض كثير من الناس منهم لتهديدات النبي «صلى الله عليه وآله» بحرق بيوتهم، لأنهم كانوا يقاطعون صلاة الجماعة التي كان يقيمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات، كما أنه قد كان ثمة جماعة اتخذت لنفسها مسجداً تجتمع فيه، وتركت الحضور في جماعة المسلمين، وهو ما عرف بمسجد الضرار، وقد هدمه «صلى الله عليه وآله»، كما هو معروف.

وتكون النتيجة هي أن من كان في ساحة الصراع والعمل السياسي في المدينة، هم أهل الطموحات، وأصحاب النفوذ من قريش، صاحبة الطول والحول في المنطقة العربية بأسرها. بالإضافة إلى أفراد معدودين من غير قريش أيضاً.

فكان هؤلاء هم الذين يدبرون الأمور، ويوجهونها بالإتجاه الذي يصب في مصلحتهم، ويؤكد هيمنتهم، ويحركون الجماهير بأساليب متنوعة، اتقنوا الاستفادة منها بما لديهم من خبرات سياسية طويلة.

فكانوا يستفيدون من نقاط الضعف الكثيرة لدى السذَّج والبسطاء، أو لدى غيرهم ممن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم بعد، ممن كانت تسيِّرهم الروح القبلية، وتهيمن على عقلياتهم وروحياتهم المفاهيم

والرواسب الجاهلية.

وكان أولئك الذين وترهم الإسلام ـ أو قضى على الإمتيازات التي لا يستحقونها، وقد استأثروا بها لأنفسهم ظلماً وعلوا ـ كانوا ـ يسارعون إلى الاستجابة إلى أي عمل يتوافق مع أحقادهم، وينسجم مع مشاعرهم وأحاسيسهم الثائرة ضد كل ما هو حق وخير، ودين وإسلام.

وهذا هو ما عبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينما ذكر: أن تأخيره إبلاغ أمر الإمامة بسبب أنه كان يخشى قومه، لأنهم قريبو عهد بجاهلية، بغيضة ومقيتة، لا يزال كثيرون منهم يعيشون بعض مفاهيمها، وتهيمن عليهم بعض أعرافها.

وهكذا يتضح: أن الأخيار الواعين من الصحابة، كانوا قلة قليلة. وحتى لو كثر عددهم، فإن الآخرين هم الذين كانوا يقودون التيار، بما تهيأ لهم من عوامل وظروف، في المدينة التي كانت بمثابة قرية صغيرة، لا يصل عدد سكانها إلى بضعة ألوف من الناس، قد عرفنا بعض حالاتهم، فكان أن تمكنوا من صرف أمر الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أصحابها الشرعيين، إلى غيرهم، حسبما هو مذكور ومسطور في كتب الحديث والتاريخ.

خلاصة وبيان:

وبعد ما تقدم، فإنه يصبح واضحاً أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان يواجه عاصفة من التحدي، والإصرار على إفشال

الخطط الإلهية، بأي ثمن كان، وبأي وسيلة كانت!

وأن التدخل الإلهي، والتهديد القرآني إنما هو موجه إلى العناصر التي أثارت تلك العاصفة، لإفهامهم: أن إصرارهم على التحدي، يوازي في خطورته وفي زيف نتائجه، وقوفهم في وجه الدعوة الإلهية من الأساس، وقد حَسَم هذا التدخل الموقف، ولجم التيار، لاسيما بعد أن صرح القرآن بكفر من يتصدى، ويتحدى، وتعهد بالحماية والعصمة له «صلى الله عليه وآله»:

(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[1].

وإذا كان الله سبحانه هو الذي سيتصدى لكل معاند وجاحد، فمن الواضح: أنه ليس بمقدور أحد أن يقف في وجه الإرادة الإلهية، فما عليهم إلا أن ينسحبوا من ساحة التحدي، من أجل أن يقيم الله حجته، ويبلغ الرسول «صلى الله عليه وآله» دينه ورسالته.

وليبوؤوا بإثم المكر والبغي، وليحملوا وزر النكث والخيانة.. **والله لا يهدي كيد الخائنين.**

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الفصل السادس :

في حدود الزمان والمكان..

دراسة الحدث في حدود الزمان والمكان:

ونحن في نطاق فهمنا لموقف النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع في منى وعرفات، ومنع قريش له من نصب علي «عليه السلام» إماماً للأمة، نسجل النقاط التالية:

١ ـ يوم عبادة:

إن يوم عرفة هو يوم عبادة ودعاء وابتهال، وانقطاع إلى الله، سبحانه، ويكون فيه كل واحد من الناس منشغلاً بنفسه، وبمناجاة ربه، لا يتوقع في موقفه ذاك أي نشاط سياسي عام، ولا يخطر ذلك له على بال.

فإذا رأى أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يبادر إلى عمل من هذا القبيل، فلا بد وأن يشعر: أن هناك أمراً بالغ الخطورة، وفائق الأهمية، فينشدّ لسماع ذلك الأمر والتعرف عليه، ويلاحق جزئياته بدقة ووعي، وبانتباه فائق.

٢ ـ لماذا في موسم الحج؟!:

وإذا كان موسم الحج هو المناسبة التي يجتمع فيها الناس من مختلف البلاد، على اختلاف طبقاتهم، وأجناسهم، وأهوائهم، فإن أي حدث متميز يرونه ويشاهدونه فيه لسوف تنتشر أخباره بواسطتهم على أوسع نطاق، فكيف إذا كان هذا الحدث يحمل في طياته الكثير من المفاجآت، والعديد من عناصر الإثارة، وفيه من الأهمية ما يرتقي به إلى مستوى الأحداث المصيرية للدعوة الإسلامية بأسرها.

٣ ـ وجود الرسول أيضاً:

كما أن وجود الرسول «صلى الله عليه وآله» في موسم الحج، لسوف يضفي على هذه المناسبة المزيد من البهجة، والارتياح، ولسوف يعطي لها معنى روحياً أكثر عمقاً، وأكثر شفافية وسيشعرون بحساسية زائدة تجاه أي قول وفعل يصدر من جهته «صلى الله عليه وآله»، وسيكون الدافع لديهم قوياً لينقلوا للناس مشاهداتهم، وذكرياتهم في سفرهم الفريد ذاك.

كما أن الناس الذين يعيشون في مناطق بعيدة عنه «صلى الله عليه وآله»، ويشتاقون إليه، لسوف يلذ لهم سماع تلك الأخبار، وتتبعها بشغف، وبدقة وبانتباه زائد؛ ليعرفوا كل ما صدر من نبيهم، من: قول، وفعل، وتوجيه، وسلوك، وأمر، ونهي وتحذير، وترغيب وما إلى ذلك.

٤ ـ الذكريات الغالية:

وكل من رافق النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا السفر العبادي، لسوف يحتفظ في ذاكرته بذكريات عزيزة وغالية على قلبه، تبقى حية غضة في روحه وفي وجدانه، على مدى الأيام والشهور، والأعوام والدهور، ما دام أن هذه هي آخر مرة يرى فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أعظم وأكرم، وأغلى رجل وجد، ويوجد على وجه الأرض.

وحين تتخذ العلاقة بالحدث بعداً عاطفياً، يلامس مشاعر الإنسان، وأحاسسيه، فإنها تصبح أكثر رسوخاً وحيوية، وأبعد أثراً في مجال الالتزام والموقف.

٥ ـ الناس أمام مسؤولياتهم:

وقد عرفنا أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار الزمان، ليكون يوم العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه ـ ويوم عرفة ـ والمكان، وهو نفس جبل عرفات.

ثم اختار الخصوصيات والحالات ذات الطابع الخاص، ككونها آخر حجة للناس معه، حيث قد أخبر الناس: أن الأجل قد أصبح قريباً.

ثم اختار أسلوب الخطاب الجماهيري، لا خطاب الأفراد والأشخاص، كما هو الحال في المناسبات العادية..

وكل ذلك وسواه، يوضح لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد

أن يضع الأمة أمام مسؤولياتها، ليفهمها: أن تنفيذ هذا الأمر يقع على عاتقها؛ ليس للأفراد أن يعتذروا بأن هذا أمر لا يعنيهم، ولا يقع في دائرة واجباتهم، كما أنهم لا يمكنهم دعوى الجهل بأبعاده وملابساته، بل الجميع مطالبون بهذا الواجب، ومسؤولون عنه، وليس خاصاً بفئة من الناس، لا يتعداها إلى غيرها، وبذلك تكون الحجة قد قامت على الجميع، ولم يبق عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

٦ ـ إحتكار القرار:

وهذه الطريقة في العمل قد أخرجت القضية عن احتكار جماعة بعينها، قد يروق لها أن تدَّعي: أنها وحدها صاحبة الحل والعقد في هذه المسألة ـ أخرجها عن ذلك لتصبح قضية الأمة بأسرها، ومن مسؤولياتها التي لا بد وأن تطالِب، وتطالَب بها، فليس لقريش بعد هذا، ولا لغيرها: أن تحتكر القرار في أمر الإمامة والخلافة، كما قد حصل ذلك بالفعل.

ولنا أن نعتبر هذا من أهم إنجازات هذا الموقف، وهو ضربة موفقة في مجال التخطيط لمستقبل الرسالة، وتركيز الفهم الصحيح لمفهوم الإمامة لدى جميع الأجيال، وعلى مر العصور. وقد كان لا بد لهذه القضية من أن تخرج من يد أناس يريدون أن يمارسوا الإقطاعية السياسية والدينية، على أسس ومفاهيم جاهلية، دونما أثارة من علم، ولا دليل من هدى، وإنما من منطلق الأهواء الشيطانية، والأطماع الرخيصة، والأحقاد المقيتة والبغيضة.

٧ ـ تساقط الأقنعة:

ولعل الإنجاز الأهم هنا هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استطاع أن يكشف زيف المزيفين، وخداع الماكرين، ويعريهم أمام الناس، حتى عرفهم كل أحد، وبأسلوب يستطيع الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم، وحالاتهم، ودرجاتهم في الفكر، وفي الوعي، وفي السن، وفي الموقع، وفي غير ذلك من أمور، أن يدركوه ويفهموه..

فقد رأى الجميع: أن هؤلاء الذين يدَّعون: أنهم يوقرون رسول الله ويتبركون بفضل وضوئه، وببصاقه، وحتى بنخامته، وأنهم يعملون بالتوجيهات الإلهية التي تقول:

(لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[١].

(لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)[٢].

(مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[٣].

(أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ)[٤].

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وغير ذلك من آيات تنظم تعاملهم، وتضع الحدود، وترسم معالم السلوك معه «صلى الله عليه وآله»، مما يكون الفسق والخروج عن الدين، في تجاهله، وفي تعديه.

هذا إلى جانب اعترافهم بما له «صلى الله عليه وآله» من فضل عليهم، وأياد لديهم، فإنه هو الذي أخرجهم ـ بفضل الله: من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وأبدلهم الذل بالعز، والشقاء بالسعادة، والنار بالجنان.

مع أنهم يدعون: أنهم قد جاؤوا مع هذا الرسول الأكرم والأعظم، في هذا الزمان الشريف، إلى هذا المكان المقدس ـ عرفات ـ لِعبادة الله سبحانه، وطلب رضاه، معلنين بالتوبة، وبالندم على ما فرطوا في جنب الله، منيبين إليه سبحانه، ليس لهم في حطام الدنيا، وزخارفها، مطلب ولا مأرب.

ولكن مع ذلك كله: فقد رأى الجميع بأم أعينهم: كيف أن حركة بسيطة منه «صلى الله عليه وآله» قد أظهرتهم على حقيقتهم، وكشفت خفيّ مكرهم، وخادع زيفهم، ورأى كل أحد كيف أنهم: قد تحولوا إلى وحوش كاسرة، ضد نبيهم بالذات، وظهر كيف أنهم لا يوقرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويرفعون أصواتهم فوق صوته، ويجهرون له بالقول أكثر من جهر بعضهم لبعضهم، ويعصون أوامره، كل ذلك رغبة في الدنيا، وزهداً في الآخرة، وطلباً لحظ الشيطان، وعزوفاً عن الكرامة الإلهية، وزهداً برضى الرحمن.

٨ ـ وعلى هذه فقس ما سواها:

وإذا كان هؤلاء لا يتورعون عن معاملة نبيهم بهذا الأسلوب الوقح والقبيح، فهل تراهم يوقرون من هو دونه، في ظروف وحالات لا تصل إلى حالاتهم معه «صلى الله عليه وآله»، ولا تدانيها؟!.

وماذا عسى أن يكون موقفهم ممن طفحت قلوبهم بالحقد عليه، ولهم قِبَلَهُ ترات وثارات الذين قتلهم على الشرك من أسلافهم، وهو الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

وهكذا.. فإنه يكون «صلى الله عليه وآله» قد أفقدهم، وأفقد مؤيديهم كل حجة, وحرمهم من كل عذر، سوى البغي والإصرار على الباطل، والجحود للحق؛ فقد ظهر ما كان خفياً، وأسفر الصبح لذي عينين، ولم يعد يمكن الإحالة، على المجهول، بدعوى: أنه يمكن أن يكون قد ظهر لهم ما خفي علينا.

أو أنهم ـ وهم الأتقياء الأبرار ـ لا يمكن أن يخالفوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا أن يبطلوا تدبيره، ويخونوا عهده، وهو لمّا يُدفن.

أو أن من غير المعقول: أن تصدر الخيانة من أكثر الصحابة؟! أو أن يسكتوا بأجمعهم عليها.

وما إلى ذلك من أساليب، يمارسها البعض لخداع السذج والبسطاء، ومن لا علم لهم بواقع أولئك الناس، ولا بمواقفهم.

فإن كل هذه الدعاوى قد سقطت، وجميع تلكم الأعذار قد ظهر

زيفها وبطلانها، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.

٩ ـ القرار الإلهي الثابت:

والذي ساهم في قطع كل عذر، وبوار كل حجة: أن النبي صلى الله عليه وآله، قد تابع طريقته الحكيمة في فضح أمرهم، بما تقدمت الإشارة إليه، في قضية تجهيز جيش أسامة، وعزل أبي بكر عن الصلاة، وطلب كتابة الكتاب، فيما عُرف برزية يوم الخميس، حيث قال عمر بن الخطاب: إن النبي ليهجر..

وكل ذلك قد كان منه في الأيام الأخيرة من حياته «صلى الله عليه وآله»، بحيث لم يبق مجال لدعوى الإنابة والتوبة، أو الندم على ما صدر منهم، ولا لدعوى تبدل الأوضاع والأحوال، والظروف والمقتضيات، ولا لدعوى تبدل القرار الإلهي النبوي.

١٠ ـ التهديد والتآمر:

هذا.. وقد تقدم: أن هؤلاء أنفسهم حينما رأوا جدية التهديد الإلهي، قد سكتوا حينما قام النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلن إمامة علي «عليه السلام» في غدير خم؛ فلم نجد منهم أية بادرة خلاف، إلا فيما ندر من همسات عابرة، لا تكاد تسمع.

وقد بادر هؤلاء أنفسهم إلى البيعة له «عليه السلام».. وإن كانوا قد أسروا وبيتوا ما لا يرضاه الله ورسوله، من القول والفعل، والنية والتخطيط. الذي ظهرت نتائجه بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»،

وهو «صلى الله عليه وآله» لما يدفن، بل وقبل ذلك، حينما تصدى بعضهم لمنع النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» من كتابة الكتاب بالوصية لعلي «عليه السلام»، حينما كان النبي «صلى الله عليه وآله» على فراش المرض، في ما عرف برزية يوم الخميس! وقال قائلهم: إن النبي ليهجر! أو: غلبه الوجع![1].

وقد أخذوا هذا الأمر من صاحبه الشرعي بقوة السلاح، بعد أن

---

(١) الإيضاح ص٣٥٩ وتذكرة الخواص ص٦٢ وسر العالمين ص٢١ وصحيح البخاري ج٣ ص٦٠ وج٤ ص٥ و ١٧٣ وج١ ص٢١ ـ ٢٢ وج٢ ص١١٥ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٥٧ وج١٠ ص٣٦١ وراجع ج٥ ص٤٣٨ والإرشاد للمفيد ص١٠٧ والبحار ج٢٢ ص٤٩٨ وراجع: الغيبة للنعماني ص٨١ ـ ٨٢ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٩٨ وفتح الباري ج٨ ص١٠١ و ١٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ والبدء والتاريخ ج٥ ص٥٩ والملل والنحل ج١ ص٢٢ والطبقات الكبرى ج٢ ص٢٤٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٩٢ ـ ١٩٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٥٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦٤ وصحيح مسلم جص٧٥ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ وص ٣٢٥ وص ٣٥٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤٤ ونهج الحق ص٢٧٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم٢ ص٦٢. وراجع: حق اليقين ج١ ص١٨١ـ ١٨٢ ودلائل الصدق ج٣ قسم١ ص٦٣ ـ ٧٠ والصراط المستقيم ج٣ ص٣ و ٦ والمراجعات ص٣٥٣ والنص والإجتهاد ص١٤٩ ـ ١٦٣.

ارتكبوا جرائم وعظائم، وانتهكوا لله حرمات.. فإنا لله وإنا إليه راجعون..

١١ ـ الخير في ما وقع:

وأخيراً.. فإن ما جرى في عرفة، ومنى، وإظهار هؤلاء الناس على حقيقتهم، وما تبع ذلك من فوائد وعوائد أشير إليها، قد كان ضرورياً ولازماً، للحفاظ على مستقبل الدعوة، وبقائها، فقد عرفت الأمة الوفي والتقي، من المتآمر والغادر، والمؤمن الخالص، من غير الخالص، وفي ذلك النفع الكثير والخير العميم. **(فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)**[١]. وصدق الله ورسوله، وخاب من افترى.. **(فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)**[٢].

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) الآية ١٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

كلمة أخيرة:

وإنني في نهاية هذا البحث أشكر القارئ الكريم على حسن متابعته لي، وأود أن أذكره بأن هذا البحث ما هو إلا خطوة أولى على طريق الكشف عن الحقيقة، وعن الظروف التي أحاطت بهذه القضية الحساسة جداً.

ويبقى المجال مفتوحاً أمام الباحثين والمحققين ليتحفونا بالمزيد من ثمار جهودهم، التي من شأنها أن تعرفنا على المزيد مما شاءت له السياسات الظالمة أن ينكتم وينستر، أو أن يتلاشى، وينعدم ويندثر.

مع التأكيد على أن هذا البحث لا يغني عن المراجعة إلى ما كتبه علماؤنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم في مجال استخراج نصوص هذا الحدث من مئات المصادر الموثوقة لدى أهل السنة، فضلاً عما ورد منها في كتب الشيعة، ثم في مجال استنطاق الحدث في إشاراته ودلالاته، وفيما يرتبط بظروفه وحالاته، ثم في بواعثه وغاياته. فإنهم رضوان الله تعالى عليهم، قد بذلوا من جهدهم الغاية، وأتوا بما فيه مقنع وكفاية، لمن أراد الرشد والهداية.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام القويم، ونسأله تعالى أن يقينا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأن يأخذ بيدنا في سبيل الخير والصلاح، والنجاح والفلاح، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول.

قم المشرفة ـ ذو الحجة، سنة ١٤١٠ هـ. ق.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

الفهارس

١ ـ المصادر والمراجع

٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ـ المصادر والمراجع

ـ ألف ـ

١ ـ ارشاد الساري، للعسقلاني، ط سنة ١٣٠٤ هـ . ق. دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢ ـ أسباب النزول، للواحدي، ط سنة ١٣٨٧ هـ . ق مصر.

٣ ـ أسد الغابة، لابن الأثير الجزري، ط سنة ١٣٨٠ هـ . وط مؤسسة إسماعيليان وطبعة أخرى.

٤ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط ساسي، وط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٥ ـ الأمالي للشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران.

٦ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، بتحقيق المحمودي، ط سنة ١٣٩٤هـ ، بيروت، لبنان.

٧ ـ الأوائل، لأبي هلال العسكري، ط سنة ١٩٧٥م، دمشق، سوريا.

٨ ـ الأوائل، للطبراني ط سنة ١٤٠٨ هـ . ق. ودار العرفان ومؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٩ ـ الإحتجاج للطبرسي، ط سنة ١٣٩٠ هـ . ق. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٠ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لأبن جلبان الفارسي، ط سنة ١٤٠٨ هـ . ق. مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، وطبعة أخرى.

١١ ـ إحقاق الحق (الملحقات) للمرعشي النجفي، ط مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران.

١٢ ـ الإرشاد، للشيخ المفيد، ط سنة ١٣٨٢ هـ ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٣ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي، ط سنة ١٣٩٠ هـ ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٤ ـ إكمال الدين للشيخ الصدوق، طسنة ١٣٩٥ هـ . ق. دار الكتب الإسلامية، طهران إيران.

١٥ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، ط سنة ١٣٨٨ هـ . ق. مصر.

١٦ ـ الإيضاح لابن شاذان ط سنة ١٣٩٢ هـ . ق جامعة طهران، إيران.

- ب -

١٧ ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، طبعة حجرية قديمة، وط بيروت مؤسسة الوفاء، لبنان.

١٨ ـ البدء والتاريخ للمقدسي ط سنة ١٩٨٨م.

١٩ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، ط سنة ١٩٦٦م.

٢٠ ـ البرهان في تفسير القرآن للبحراني ط آفتاب، طهران، إيران، والمطبعة العلمية سنة ١٣٩٣، إيران.

٢١ ـ بهج الصباغة، للتستري، ط سنة ١٣٩٠ هـ . ق. فما بعدها مكتبة الصدر طهران إيران.

- ت -

٢٢ ـ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، ط دار المعارف، مصر، وط الإستقامة.

٢٣ ـ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ط سنة ١٣٧١ هـ . ق، مطبعة السعادة مصر.

٢٤ ـ تاريخ الخميس، للديار بكري، ط سنة ١٣٨٣هـ . ق، مصر.

٢٥ ـ تاريخ المدينة، لابن شبة النميري، ط سنة ١٤١٠هـ . ق، دار الفكر، قم، إيران.

٢٦ ـ تاريخ اليعقوبي، لابن واضح، ط صادر بيروت وط النجف الأشرف، العراق.

٢٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٨ ـ تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي، ط المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٨٣هـ ، النجف الأشرف، العراق.

٢٩ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب، من تاريخ دمشق، تحقيق المحمودي، بيروت، لبنان.

٣٠ ـ تفسير العياشي، ط المكتبة الإسلامية، طهران إيران.

٣١ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٢ ـ تفسير الميزان، للطباطبائي، منشورات الأعلمي، ط سنة ١٣٩٤هـ ، بيروت، لبنان.

٣٣ ـ تفسير فتح القدير، للشوكاني، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٤ ـ تلخيص مستدرك الحاكم، للذهبي، مطبوع بهامش المستدرك نفسه في الهند، ط سنة ١٣٤٢هـ .

- ج -

٣٥ ـ الجامع الصحيح، للترمذي، نشر المكتبة الإسلامية، للحاج رياض الشيخ.

٣٦ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٧ ـ الجمل للشيخ المفيد طسنة ١٣٨١ هـ . ق. ط المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، وط قم، إيران.

٣٨ ـ جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت.

- ح -

٣٩ ـ حديث الثقلين، للوشنوي، قم، إيران.

٤٠ ـ حق اليقين، لعبدالله شبر، منشورات الأعلمي طهران، إيران. أوفست عن ط سنة ١٣٥٢هـ . ق العرفان صيدا، لبنان.

٤١ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤٢ ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، ط دار النصر سنة١٣٩٢ هـ ، القاهرة، مصر. وط دار الوعي حلب سنة ١٣٩١ هـ . ق.

- خ -

٤٣ ـ الخصال للصدوق، ط سنة ١٤٠٣ هـ ، جماعة المدرسين، قم، إيران.

- د -

٤٤ ـ الدر المنثور للسيوطي.

٤٥ ـ الدرجات الرفيعة للسيد علي خان ط سنة ١٣٩٧ هـ . ق. بصيرتي، قم، إيران.

٤٦ ـ دلائل الصدق، للمظفر، ط سنة ١٣٩٥ هـ . ق. قم، إيران.

- ر -

٤٧ ـ روح المعاني، للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٨ ـ روضة الواعظين، للفتال النيسابوري، ط سنة ١٣٨٦هـ . ق المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٤٩ ـ الرياض النضرة للمحب الطبري ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- س -

٥٠ ـ سر العالمين، للغزالي، ط سنة ١٣٨٥ هـ . ق مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق.

٥١ ـ سنن أبي داود، ط سنة ١٣٧٣ هـ . دار إحياء السنة النبوية.

٥٢ ـ سنن أبي ماجة، ط سنة ١٣٧٣هـ .

٥٣ ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية للسيد جعفر مرتضى العاملي، ط الأولى، الدار الإسلامية، ١٤١٨ هـ . ق. بيروت، لبنان.

٥٤ ـ السيرة الحلبية لعلي بن برهان الحلبي، ط سنة ١٣٢٠ هـ . ق.

٥٥ ـ السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان، وطبعة أخرى بهامش السيرة الحلبية.

- ش -

٥٦ ـ شرح المقاصد، للتفتازاني، منشورات الشريف الرضي

سنة ١٤٠٩هـ . ق. قم، إيران.

٥٧ ـ شرح نهج البلاغة، للمعتزلي الحنفي، ط سنة ١٣٨٥ هـ ، مصر.

٥٨ ـ شواهد التنزيل، للحسكاني، ط سنة ١٣٩٣ هـ . ق مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

ـ ص ـ

٥٩ ـ صحيح البخاري، ط سنة ١٣٠٩ هـ . ق، مصر.

٦٠ ـ صحيح مسلم، ط محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

٦١ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر مرتضى العاملي الطبعة الرابعة، دار السيرة ودار الهادي ١٤١٥ هـ . ق ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

٦٢ ـ الصراط المستقيم، للبياضي العاملي، ط سنة ١٣٨٤ هـ ، مطبعة الحيدري.

٦٣ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي، دار المحمدية، القاهرة، وط سنة ١٣١٢ وط دار البلاغة، مصر.

ـ ض ـ

٦٤ ـ ضياء العالمين، للشريف أبي الحسن الفتوني، (مخطوط).

ـ ط ـ

٦٥ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط سنة ١٣٨٨ هـ ، دار صادر، بيروت، لبنان، وط ليدن.

- ع -

٦٦ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، لإبن خلدون ط سنة ١٣٩١ هـ . ق. الأعلمي، بيروت.

٦٧ ـ عمدة القارئ للعيني، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٨ ـ العمدة، لابن البطريق، ط سنة ١٤٠٧ هـ . ق. جماعة المدرسين، قم، إيران.

٦٩ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، ط سنة ١٣٨٣ هـ . ق. المؤسسة المصرية العامة.

٧٠ ـ عيون أخبار الرضا ×، للصدوق، ط سنة ١٣٧٧ هـ . ق. إيران قم.

- غ -

٧١ ـ الغارات، للثقفي، مطبعة الحيدري، إيران.

٧٢ ـ الغدير، للأميني، ط سنة ١٣٩٧ هـ . ق. دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٣ ـ غرائب القرآن، (مطبوع بهامش جامع البيان)، للنيسابوري، ط سنة ١٣١٤ هـ . ق.

٧٤ ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ط سنة ١٣٨٥ هـ ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق.

٧٥ ـ الغيبة، للنعماني، مكتبة الصدوق، طهران، إيران.

- ف -

٧٦ ـ فتح الباري، للعسقلاني، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧٧ ـ فرائد السمطين، للجويني، ط سنة ١٤٠٠ هـ . ق مؤسسة المحمودي، بيروت، لبنان.

- ق -

٧٨ ـ قاموس الرجال، للتستري، مركز نشر كتاب، طهران، وط جماعة المدرسين، قم، إيران.

- ك -

٧٩ ـ الكافي (الأصول) للكليني، المطبعة الإسلامية، ط سنة ١٣٨٨ هـ ، و(الفروع) مطبعة الحيدري، ط سنة ١٣٧٧ هـ ، طهران، إيران.

٨٠ ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ط دار صادر سنة ١٣٨٥ هـ . ق. بيروت، لبنان.

٨١ ـ الكامل، لابن عدي.

٨٢ ـ كتاب بغداد، لأحمد بن أبي طاهر.

٨٣ ـ كتاب سليم بن قيس، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، وط قم، إيران.

٨٤ ـ كشف الأستار عن مسند البزار للهيثمي، ط سنة ١٣٩٩ هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٨٥ ـ كشف الغمة، للإربلي، المطبعة العلمية، سنة ١٣٨١ هـ .

ق، قم، إيران.

٨٦ ـ كفاية الأثر، للخزاز، ط مطبعة الخيام قم، إيران.

٨٧ ـ كفاية الطالب، للكنجي الشافعي ط سنة ١٣٩٠ هـ . ق. دار المعرفة بيروت، لبنان.

٨٨ ـ كنز العمال، للمتقي الهندي، ط سنة ١٣٨١ هـ ، الهند.

٨٩ ـ كنز الفوائد، للكراجكي، ط دار الأضواء، بيروت، لبنان.

- ل -

٩٠ ـ لباب التأويل، للخازن، ط سنة ١٣١٧ هـ . ق، مصر ودار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩١ ـ لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر، بيروت، لبنان.

- م -

٩٢ ـ مجمع البيان، للطبرسي، ط سنة ١٣٧٩ هـ . ق دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وط العرفان صيدا، لبنان.

٩٣ ـ مجمع الزوائد، لابن حجر الهيثمي، ط سنة ١٩٦٧م.

٩٤ ـ محاضرات الراغب، للأصفهاني، ط بيروت، لبنان.

٩٥ ـ المراجعات، لعبد الحسين شرف الدين، ط سنة ١٤٠٢ هـ . ق بيروت، لبنان.

٩٦ ـ مروج الذهب، للمسعودي، ط دار الأندلس، سنة ١٩٦٥،

بيروت، لبنان، وطبعات أخرى.

٩٧ ـ المستدرك، للحاكم النيسابوري، ط الهند، سنة ١٣٤٢هـ .

٩٨ ـ المسترشد في إمامة علي ×، للطبري ط المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٩٩ ـ مسند البزار (مخطوط).

١٠٠ ـ مسند الطيالسي، ط سنة ١٣٢١ هـ . ق. أو ١٣٦٢ هـ . ق. الهند.

١٠١ ـ مسند أبي عوانة، ط سنة ١٣٦٢ هـ . ق الهند.

١٠٢ ـ مسند أبي يعلى، لابن المثني التميمي، ط دار المأمون للتراث، بيروت ودمشق، ط سنة ١٤٠٧ هـ . ق.

١٠٣ ـ مسند أحمد، ط سنة ١٣١٣ هـ ، مصر، وط دار صادر بيروت، لبنان.

١٠٤ ـ المصنف، لابن أبي شيبة، ط الهند، وط دار الفكر ١٤٠٩ هـ . ق. بيروت، لبنان.

١٠٥ ـ المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ط سنة ١٣٩٠ هـ .

١٠٦ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، (مخطوط في مكتبة طوب قبو سراي).

١٠٧ ـ المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي، ط سنة ١٩٧٥م، بغداد، العراق.

١٠٨ ـ مقتل الحسين، للخوارزمي، ط النجف الأشرف، العراق، ومنشورات مكتبة المفيد قم، إيران.

١٠٩ ـ الملل والنحل، للشهرستاني، ط سنة ١٣٨٧هـ . ق. مصر.

١١٠ ـ مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب، المطبعة العلمية، قم، إيران.

١١١ ـ مناقب علي بن أبي طالب، لابن المغازلي، ط سنة ١٣٩٤هـ . ق طهران، إيران.

١١٢ ـ المناقب للخوارزمي، ط المطبعة الحيدرية سنة ١٣٨٥ هـ ، النجف الأشرف، العراق.

١١٣ ـ منتخب الأثر، للطف الله الصافي.

١١٤ ـ منحة المعبود في ترتيب مسند أبي داود، لابن الساعاتي.

١١٥ ـ الموفقيات، للزبير بن بكار، ط سنة ١٩٧٢م.

١١٦ ـ ميزان الإعتدال، للذهبي، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- ن -

١١٧ ـ ناسخ التواريخ، لمحمد تقي سبهر، ط إيران.

١١٨ ـ نثر الدر، للآبي، ط الهيئة المصرية للكتاب.

١١٩ ـ نزل الأبرار، للبدخشاي الحارثي، ط سنة ١٤٠٣ هـ . ق مطابع نقش جهان، طهران، إيران.

١٢٠ ـ النص والإجتهاد، لعبدالحسين شرف الدين، ط سنة

١٣٨٦ هـ . ق كربلاء، النجف الأشرف، العراق.

١٢١ ـ النهاية في اللغة، لابن الأثير، ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٨٣هـ . ق بيروت، لبنان.

١٢٢ ـ نهج البلاغة (جمع الشريف الرضي) بشرح محمد عبده، ط الإستقامة.

١٢٣ ـ نهج السعادة، للمحمودي، مطبعة النعمان، سنة ١٣٨٧هـ ، النجف الأشرف، العراق.

١٢٤ ـ نور الأبصار، للشبلنجي، المطبعة اليوسفية، نشر مكتبة الجمهورية، مصر.

- ي -

١٢٥ ـ ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، ط سنة ١٣٠١ هـ . ق إسلامبول، تركيا.

٢ ـ الفهرس التفصيلي:

مقدمة الطبعة الثانية: ٥
تقديم: ٧
الفصل الأول: الغدير والإمامة..... ١٠
ليتضح ما نرمي إليه: ١٢
«حديث الغدير»: ١٢
توطئة وتمهيد: ١٥
الغدير والإمامة: ١٦
الحدث الخالد: ١٨
مفتاح الحل: ٢٠
خلافة أم إمامة؟!: ٢٠
دور الإمامة في بناء الإنسان والحياة: ٢١
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ:..... ٢٥
الفصل الثاني: الموتورون، الحاقدون ٢٦
المعارضون:..... ٢٨

النصوص الصريحة:..... ٢٩
الخليفة الثاني يتحدث أيضاً: ٣٦
قريش في كلمات علي ×: ٣٧
بعض ما قاله المعتزلي هنا: ٤٢
الفصل الثالث: الرسول الأكرم ٢ يعرفهم ٤٧
الرسول ٢ والمتآمرون:..... ٤٩
أمثلة وشواهد: ٥٠
ممن الخوف يا ترى: ٥٧
المتآمرون: ٥٧
الفصل الرابع: الموقف ـ الفضيحة ٦٠
الصخب والغضب: ٦٢
إلفات النظر إلى أمرين:..... ٦٨
الأول: المكان ٦٨
الثاني: كلهم من قريش.. ..... ٧٠
الموقف، الفضحية:..... ٧١
التدبير النبوي: ٧٤
ظهور الأحقاد والمصارحة المرة: ٧٧
الفصل الخامس : الغدير ٨١
في ظل التهديدات الإلهية..... ٨١

قريش وخلافة بني هاشم: ٨٣
التدخل الإلهي: ٨٤
سياسة الفضائح: ٨٦
تذكير ضروري: الورع والتقوى ٩٢
خلاصة وبيان: ٩٥
الفصل السادس : في حدود الزمان والمكان ٩٧
دراسة الحدث في حدود الزمان والمكان: ٩٩
١ ـ يوم عبادة: ٩٩
٢ ـ لماذا في موسم الحج؟!: ١٠٠
٣ ـ وجود الرسول أيضاً: ١٠٠
٤ ـ الذكريات الغالية: ١٠١
٥ ـ الناس أمام مسؤولياتهم: ١٠١
٦ ـ إحتكار القرار: ١٠٢
٧ ـ تساقط الأقنعة: ١٠٣
٨ ـ وعلى هذه فقس ما سواها: ١٠٥
٩ ـ القرار الإلهي الثابت: ١٠٦
١٠ ـ التهديد والتآمر: ١٠٦
١١ ـ الخير في ما وقع: ١٠٨
كلمة أخيرة: ١٠٩

الفهارس ١١١
١ ـ المصادر والمراجع ١١١
٢ ـ الفهرس التفصيلي..... ١١١
١ ـ المصادر والمراجع ١١٣
٢ ـ الفهرس التفصيلي: ١٢٨
٣ ـ كتب مطبوعة للمؤلف ١٣١

٣ ـ كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ الآداب الطبية في الإسلام

٢ ـ ابن عباس وأموال البصرة

٣ ـ ابن عربي سنيٌ متعصب

٤ ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم

٥ ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل

٦ ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي

٧ ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»

٨ ـ أهل البيت ﷺ في آية التطهير(الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

٩ ـ براءة آدم × حقيقة قرآنية

١٠ ـ بنات النبي ١ أم ربائبه

١١ ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان

١٢ ـ تفسير سورة الفاتحة

١٣ ـ تفسير سورة الكوثر

١٤ ـ تفسير سورة الماعون

١٥ ـ تفسير سورة الناس

١٦ ـ تفسير سورة «هل أتى» ٢/١

١٧ ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات

١٨ ـ حديث الإفك

١٩ ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم

٢٠ ـ الحياة السياسية للإمام الجواد ×

٢١ ـ الحياة السياسية للإمام الحسن ×

٢٢ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا ×

٢٣ ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ ٦/١

٢٤ ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ٤/١

٢٥ ـ دراسة في علامات الظهور والجزيرة الخضراء

٢٦ ـ دراسة في علامات الظهور

٢٧ ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) ٣/١

٢٨ ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)

٢٩ ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي

٣٠ ـ سنابل المجد (قصيدة إلى روح الإمام الخميني &)

٣١ ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية

٣٢ ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة

٣٣ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١ ١٢/١

٣٤ ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد&

٣٥ ـ ظاهرة القارونية من أين وإلى أين؟

٣٦ ـ ظلامة أم كلثوم

٣٧ ـ علي × والخوارج ٢/١

٣٨ ـ الغدير والمعارضون

٣٩ ـ القول الصائب في إثبات الربائب

٤٠ ـ كربلاء فوق الشبهات

٤١ ـ لست بفوق أن أخطئ من كلام علي ×

٤٢ ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷

٤٣ ـ مأساة الزهراء ÷ شبهات وردود ٢/١

٤٤ ـ ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

٤٥ ـ مختصر مفيد.. ٧/١

٤٦ ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود»

٤٧ ـ المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة

٤٨ ـ المسجد الأقصى أين؟

٤٩ ـ مقالات ودراسات

٥٠ ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

٥١ ـ المواسم والمراسم

٥٢ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

٥٣ ـ موقف علي × في الحديبية

٥٤ ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة ^

٥٥ ـ الولاية التشريعية